النصرة

فائدة عن الربا

وأخيراً انتهت زيارة الطاغية ترامب إلى المنطقة

الهند وباكستان ووقف إطلاق النار

ترامب-أنقذ الهند

غزة...غزة

أيتها الجيوش!

ذو القعدة –ذو الحجة 1446هـ
| أيار/ مايو – حزيران/
يونيو2025م

العدد-84

مجلة النصرة العدد 84

مجلة النصرة تصدر من المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية باكستان

المحتويات

ترامب أنقذ الهند، وقادة باكستان أجهضوا النصر! 3
تفسير سورة البقرة (281) فائدة عن الربا 6
وأخيراً انتهت زيارة الطاغية ترامب إلى المنطقة 20
القرآن الكريم معجزة لغوية تثبت صدق رسالة النبي محمد ﷺ 23
الدين منهج حياة يضبط العلاقة بين الخالق والمخلوق 35
الأمة الإسلامية في مرحلة ما بعد الحداثة 53
الإخلاص الخالص 56
ستظل مواقف الصدّيق نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع به ... 61
التدرج في تطبيق أحكام الإسلام 72
سقف الصراع بين الهند وباكستان 76
فرصة تاريخية لتحرير كشمير وفلسطين 80
جواب سؤال: الدولة العميقة 82
جواب سؤال: الهند وباكستان ووقف إطلاق النار 89
غزة...غزة أيتها الجيوش! 95

ترامب أنقذ الهند، وقادة باكستان أجهضوا النصر!

بعد تبادل القوتين النوويتين القصف منذ يوم الأربعاء 2025/5/7، حينما نفّذت الهند ضربات جوية على مواقع داخل باكستان على خلفية هجوم استهدف سياحاً في الشطر الذي تحتله الهند من إقليم كشمير أواخر نيسان/أبريل الماضي، ورغم نفي باكستان مسؤوليتها عن الحادث، أصرت الهند على اتهامها، وأعلنت تعليق اتفاق المياه بين البلدين، وأقدمت على شن هجوم بالطائرات الحربية والمسيرات والصواريخ. إلا أن هذا الهجوم قوبل بصدٍّ صادم من باكستان، حيث تكبّدت الهند خسائر عسكرية كبيرة خلال يومين فقط من بدء الهجوم، إذ أسقط لها ما لا يقل عن خمس طائرات حربية وعشرات الطائرات المسيّرة، إضافة إلى الهجوم المضاد الذي شنّته باكستان، والذي ألحق أضراراً جسيمة بالبنية التحتية العسكرية، خصوصاً منصات صواريخ S-400.

لقد أصيبت الهند بصدمة نتيجة حصيلة مغامرتها غير المحسوبة، وكانت بأمس الحاجة لمن يخرجها من ورطتها وتدهور الأوضاع، ما كان ينذر بمزيد من الخسائر، فتلقّفت دخول ترامب على الخط، ومطالبته الطرفين بوقف إطلاق النار، بعدما أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أن الهند وباكستان اتفقتا على وقف إطلاق نار كامل "بشكل فوري". وكتب ترامب على منصة "تروث سوشال": "بعد ليلة طويلة من المحادثات التي قامت الولايات المتحدة بوساطتها، يسعدني أن أعلن أن الهند وباكستان قد توصلتا إلى وقف كامل وفوري لإطلاق النار". وأضاف: "تهانينا للبلدين على استخدام الحكمة والمنطق والذكاء الكبير. شكراً لاهتمامكم بهذا الأمر".

وعقب ذلك، أعلنت الهند وباكستان، يوم السبت 2025/5/10، موافقتهما على وقف فوري لإطلاق النار، بعد أيام من تبادل الهجمات. وقالت وزارة الخارجية الهندية إن وقف إطلاق النار سيبدأ اعتباراً من السبت. وأوضحت أن قائدي العمليات العسكرية في البلدين تواصلا، وجرى الاتفاق على وقف إطلاق النار، وأن الطرفين سيجريان محادثات مجدداً يوم الاثنين. كما صرّح وزير الخارجية الباكستاني، محمد إسحاق دار، بأن بلاده

"سعت دوماً إلى تحقيق السلام والأمن في المنطقة، من دون المساس بالسيادة وسلامة الأراضي".

وقد جاء هذا الإعلان بعد أن حقق المجاهدون من نسور القوات المسلحة الباكستانية، إلى جانب مختلف القطاعات العسكرية، نصراً مؤزراً على عدو الله والمسلمين، دولة الهندوس المتعجرفة. إلا أن رأس الكفر ترامب، وحلفه الصليبي، سارعوا إلى إحباط هذا النصر وتحويله إلى هزيمة، من خلال أمر ترامب لعملائه في القيادة السياسية والعسكرية الباكستانية بقبول وقف إطلاق النار، مع الإبقاء على تعليق اتفاقية المياه، واستمرار احتلال كشمير. وهكذا، ضاع النصر الذي حققه المخلصون في الجيش الباكستاني، تماماً كما حدث حين فرّط نواز شريف وبرويز مشرف في مرتفعات كارجيل في تموز/يوليو من عام 1999، بعدما تسللت قوات باكستانية، معظمها من الكوماندوز الباكستانيين والمجاهدين الكشميريين، إلى مواقع استراتيجية على قمم سلسلة جبال كارجيل في كشمير المحتلة، وتمكنت القوات من السيطرة على مواقع عالية تمنحهم أفضلية نارية على طرق إمداد الجيش الهندي، ما أربك القوات الهندية وألحق بها خسائر جسيمة. وتدخلت الولايات المتحدة بقيادة بيل كلينتون آنذاك، وأمر نواز ومشرف بالانسحاب من المواقع التي سيطرت عليها القوات الباكستانية، وأُجهض النصر، واعتُبر ذلك تفريطاً في إنجاز عسكري كبير كان يمكن أن يُغير المعادلة في كشمير.

لم يكن تفريط عملاء ترامب الحاليين بأقل خيانة من عملاء الأمس من القيادتين السياسية والعسكرية في باكستان بالنصر المبارك أمراً مستغرَباً، فهم عبيد لا إرادة لهم أمام سيدهم في البيت الأبيض. وظيفتهم ليست تحقيق النصر للأمة، ولا تحرير بلاد المسلمين، ولا قيادة الفتوحات، ولا غرس الثقة في قلوب المسلمين وجيوشهم، بل وظيفتهم محصورة في تنفيذ المهام القذرة التي تخدم أعداء الأمة، وتطعن في قلبها النابض والمستعد للنهوض والانعتاق من هيمنة الغرب والهندوس ويهود. أضف إلى ذلك مهمتهم القذرة في الحكم بغير ما أنزل الله، والتأكد من إقصاء الشريعة عن الحكم، وملاحقة الساعين لنهضة الأمة بالإسلام، وتجفيف منابع المقاومة المخلصة التي تطالب بتحرير كشمير وبلاد المسلمين.

ولو كان لدى قادة باكستان السياسيين والعسكريين ذرة من إخلاص أو كرامة، لاستثمروا هذا النصر لا لإجبار الهند على التراجع عن تعليق اتفاقية المياه فحسب، بل لإجبارها على الانسحاب من كشمير، لكن لأنهم عملاء لأمريكا، فإنهم معنيّون بإرضائها، وإنقاذ الحليف الهندي ولو على حساب باكستان وأهلها. وهكذا، كانوا مستعدين لتبديد النصر الذي حققه المخلصون في الجيش، والعودة إلى المربع الأول: كشمير تحت الاحتلال، والمياه تحت التعليق، وأهل كشمير تحت بطش العدو اللئيم، جزار كوجرات، مودي.

يجب على الأمة الإسلامية عامة، وعلى العلماء والوجهاء والمؤثرين خاصة، الوقوف في وجه هذه القيادة الخائنة التي فرّطت بانتصارات الأمة، والمطالبة بتنحية القيادتين السياسية والعسكرية، وتسليم السلطة لمن هو جدير بها، لمن يحكم بما يرضي الله، ويقود الأمة نحو النصر والتحرير، ويوظف الانتصارات كما ينبغي لها.

أيها الضباط المخلصون في الجيش الباكستاني! لقد فرّطت قيادتكم السياسية والعسكرية بانتصاراتكم المباركة، وأثبتت للمرة الألف أنها غير جديرة بقيادتكم، وأنها العدو الحقيقي لكم، وإن رتلت آيات القرآن التي لم تغادر حناجرها، وإن عَلَت على أكتافها النياشين التي توحي بأنهم فرسان، بينما هم في الحقيقة منافقون، قال الله سبحانه وتعالى فيهم: **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.**

لهذا، فإن الإطاحة بهم أصبحت أكثر وجوباً، وإعطاء النصرة لحزب التحرير، الذي يمثّلكم حقّاً، هو واجب ملحّ لا يجوز تأخيره، فلا تعودوا إلى ثكناتكم لتذهب انتصاراتكم أدراج الرياح، وأنتم قادرون - في ظل قيادة مخلصة نقيّة كقيادة حزب التحرير - على تحرير كشمير، وإقامة الدين في باكستان، خلافةً على منهاج النبوة. **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.**

المحتويات

تفسير سورة البقرة (281): فائدة عن الربا

العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة

بعد أن اكتملت آيات الربا في سورة البقرة فإنه لا بدّ من وقفة مع هذا الموضوع الخطير، فأقول وبالله التوفيق:

1. الربا لغة الزيادة مطلقاً، يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد. ومنه الحديث الذي رواه مسلم (... قال عبد الرحمن بن أبي بكر: فَايْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلاَّ رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا)[1] يعني الطعام الذي دعا فيه النبي ﷺ بالبركة.

وغالب ما كانت تفعله العرب من الربا أن تقول للغريم عند حلول أجل الدين: أتقضي أم تربي؟ فيزيدون المال مع زيادة الأجل ويصبح المال المطلوب هو رأس المال والزيادة الجديدة عند الأجل الجديد. فكل زيادة في الدين بسبب تأخير السداد كانوا يعتبرونه ربا ويجيزونه بينهم.

2. هذا من حيث اللغة عند العرب، أما من حيث الشرع فقد أعطى للربا حقيقة شرعية على وجهين:

الأول: ربا النسيئة وهو ما كان سببه راجعاً للأجل أي التأخير من النساء الذي يعني التأخير، وهو ما كانت تفعله العرب (زيادة الدين لتأخير السداد إلى أجل) فقد أقر الشرع هذه التسمية اللغوية واعتبره ربا ثم أضاف له معنى شرعياً جديداً وهو: أن تبيع أصنافاً معينة بنفس الصنف أو بصنف منها مختلف ولكن التقاضي لا يكون يداً بيدٍ بل بعد أجل مهما كان قيمة التقاضي مثل المبيع أو يقل أو يختلف. أي أن ربا النسيئة (من حيث الحقيقة الشرعية) هو نوعان:

= زيادة الدين لتأخير السداد.

= بيع صنف من الأصناف الربوية الستة ببعضها متشابهةً أو مختلفةً ويكون التقابض لأجل أي ليس يداً بيدٍ، وهذا يعني عدم التقابض في المجلس

[1] مسلم: 3833

- حاضراً -.

الثاني: ربا الفضل وهو ما كان سببه التفاضل وليس الأجل، وهو أن تبيع صنفاً من هذه الأصناف وتتقاضاه حاضراً من نفس الصنف ولكن بأكثر منه.

وأما هذه الأصناف فهي الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والملح، والأصل في ذلك ما صحّ عن رسول الله ﷺ من أحاديث في البيع والقرض.

3. أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **"الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثلٍ يداً بيدٍ فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء"**[2].

وأخرج أبو داود عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: **"الذهب بالذهب تبرها وعينها والفضة بالفضة تبرها وعينها والبر بالبر مدي بمدي والشعير بالشعير مدي بمدي والتمر بالتمر مدي بمدي والملح بالملح مدي بمدي فمن زاد أو ازداد فقد أربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة والفضة أكثرهما يداً بيدٍ، وأما نسيئةً فلا ولا بأس ببيع البر بالشعير والشعير أكثرهما يداً بيدٍ وأما نسيئةً فلا"**[3].

والمدي: مكيال، التبر: قطع الذهب والفضة قبل أن تضرب وتطبع دراهم أو دنانير واحدتها تبرة، والعين: المضروب من الدراهم أو الدنانير وهذا معنى قوله ﷺ: **"تبرها وعينها سواء"**.

أخرج الدارقطني عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما، من كانت له حاجة بورق فليصرفها بذهب وإن كانت له حاجة بذهب فليصرفها بورق هاء بهاء"**[4] أي مقايضة في المجلس.

وهكذا، من أحب تمراً بنوعية فيمكنه أن يبيع تمره بمادة أخرى من غير جنسها ثم بهذا الثمن الجديد يشتري به التمر الذي يحبه، أما

---

[2] مسلم: 1588

[3] أبو داوود: 2907، النسائي: 4487

[4] الدارقطني: 25/3

إن اشترى تمراً بتمرٍ فيجب مثلاً بمثلٍ يداً بيدٍ.

أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: جاء بلال بتمر فقال له ﷺ: من أين هذا؟ فقال بلال: من تمر كان عندنا رديء فبعت منه صاعين بصاع لمطعم النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: **"أوه، عين الربا لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري التمر فبعه ببيع آخر ثم اشتر به"**[5] وفي رواية: **"هذا الربا فردوه ثم بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا"**[6].

وهذا الحديث دليل على أن بيع الربا باطل وليس فاسداً، أي يجب فسخه ولا يجبر بردّ ما فيه من الزيادة الربوية بل يفسخ العقد كله.

فالرسول ﷺ لم يأمر بلالا أن يرد الزيادة الربوية فقط بل طلب منه أن يفسخ البيع فيردّ كامل التمر الذي اشتراه ويأخذ كامل التمر الذي باعه، ثم بعد ذلك يبيع تمره بدراهم أو دنانير مثلاً ويقبض الثمن حالاً ثم يذهب ويشتري بهذه الدنانير أو الدراهم من التمر الآخر.

(أوه) كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع أي إنكار شديد لما صنعه بلال رضي الله عنه.

ومن هذه الأحاديث يتبين أنه لا يجوز بيع هذه الأصناف الستة إلا يداً بيدٍ أي مقايضةً في نفس المجلس، وكذلك لا يجوز أن تتفاضل إن كانت من الصنف الواحد ويكون هذا رباً، هو ربا الفضل.

ولذلك فما تصنعه محلات الذهب من شراء الذهب ببعضه أو الفضة ببعضها مع التفاضل في الوزن نتيجة اختلاف نوعية الذهب أو الفضة (خاتم أو أسورة ...) فهذا من ربا الفضل ولكن لهم أن يبيعوا الذهب بالفضة أو بنقد آخر كيف شاءوا متفاضلاً أو مثله بشرط التقابض في المجلس، ولا يجوز التقابض بعد أجل في بيع هذه الأصناف سواء من صنف واحد أو أصناف

[5] البخاري: 2145، مسلم: 2985
[6] مسلم: 2986

مختلفة وإلا كان من ربا النسيئة.

ومن الجدير ذكره أن هذه الأصناف الستة: (الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والملح) وردت بالتنصيص عليها في الأحاديث المذكورة، وهي أسماء جامدة لا مفهوم لها وهي غير معللة فلا يقاس عليها.

4. وقد استثنى الله سبحانه من تحريم بيع هذه الأصناف الستة ببعضها والتقابض لأجل، استثنى منها بيع السلم أي أن يكون الثمن المعجل (نقداً أو ذهباً أو فضةً أو عيناً أخرى حاضرة). والمؤجل هو السلعة ويسمى هذا البيع كذلك بيع السلف، فإن هذا البيع جائز وتأجيل التقابض فيها أي عدم تسليم السلعة والثمن حالاً بحالٍ - وهو واقع السلم - لا يجعله ربا حتى لو كان الثمن والسلعة من الأصناف الستة، أي لو كان الثمن ذهباً مثلاً والسلعة المؤجلة قمحاً أو شعيراً أو غيرهما من الأصناف الستة، وذلك للأدلة الواردة في بيع السلم:

أ. يقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾ والسلم دين لأن أحد العوضين حاضر والثاني السلعة المؤجلة، وقد ورد أن هذه الآية نزلت في بيع السلم - كما سنبينه عند تفسير هذه الآية بإذن الله -.

ب. حديث البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنتين والثلاث، فقال رسول الله ﷺ: **"من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم"**[7].

ج. روى البخاري عن محمد بن المجالد قال: بعثني عبد الله بن شداد وأبو بردة إلى عبد الله بن أبي أوفى فقالا: سله **هل كان أصحاب النبي ﷺ في عهد النبي ﷺ يسلفون في الحنطة؟ فقال عبد الله: "كنا نسلف نبيط**[8] **أهل الشام في الحنطة والشعير والزيت في كيل معلوم إلى أجل معلوم. قلت: إلى من كان أصله عنده؟**

---

[7] البخاري: 2085، مسلم: 3010، النسائي: 3004، ابن ماجه: 2271

[8] النبيط بفتح النون أهل الزراعة ذوي الخبرة في استخراج المياه من الينابيع لكثرة معالجتهم الفلاحة.

قال: ما كنا نسألهم عن ذلك"[9] ثم بعثاني إلى عبدالرحمن بن عوف فسألته فقال: **"كان أصحاب النبي ﷺ يسلفون على عهد النبي ﷺ ولم نسألهم ألهم حرث أم لا".**

فالسلم في طعام معلوم بكيل معلوم أو وزن معلوم يسلم آجلاً معلوماً بثمن عاجل معلوم ما دام بالشروط الشرعية.

فإن هذا البيع مستثنى من تحريم تأجيل التقابض في الأصناف الربوية، وكذلك هو مستثنى من تحريم بيع ما ليس عندك لأن السلعة لا تكون مملوكة لبائع السلم عند عقد السلم.

وهناك استثناء آخر متعلق ببيع العرايا وهو أن يشتري من ليس له نخيل، يشتري ثمر النخيل على الشجرة بكمية من التمر يدفعها لصاحب النخيل فيكون قد اشترى ثمر النخلة وهو عليها بتمر موجود معه، وهنا وإن كان الصنفان متشابهين (بلح ورطب وتمر) والوزن أو الكيل مختلف بين ما على النخل والتمر مع المشتري إلا أنه استثني بحديث رسول الله ﷺ: **"رخص رسول الله ﷺ ببيع العرايا"**[10] والعرية هي النخلة المعراة التي تشترى ليؤكل ما عليها.

5. يقع الربا كذلك في القرض في جميع الأصناف وليس فقط في الأصناف الربوية لأن رسول الله ﷺ يقول: **"كلّ قرض جر نفعا فهو ربا"**[11] و(قرض) مطلق غير مقيد بقيد فهو في كلّ صنف، وروى البخاري في تاريخه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **"إذا أقرض فلا يأخذ هدية"**[12]. ولذلك فالزيادة في القرض عند سداده تكون رباً، أما إن كان أحسن نوعاً فلا بأس كأن يقترض ديناراً ذهباً قديماً في الاستعمال فيسدده جديداً بنفس الوزن أو يقترض جملاً فيسدده جملاً

---

[9] البخاري: 2088

[10] البخاري: 2041، مسلم: 2841، الترمذي: 1222، 1234، النسائي: 4456

[11] السنن الكبرى للنسائي: 350/5، وقال: موقوف، الحارث بن أبي أسامة: 500/1، تلخيص الحبير: 34/3، نصب الراية: 60/4

[12] البيهقي: 350/5، وتكملته "... **أجودكم أجودكم قضاءً**"

أجود دون أن يكون ذلك مشروطاً فلا بأس بذلك ولا يكون رباً، فقد اقترض رسول الله ﷺ جملاً فلما جاءت إبل الصدقة ردّ لصاحب الجمل جملاً أجود من جمله وقال ﷺ: **"أجودكم أجودكم قضاء"**[13].

لذلك يقع الربا في البيع في الأصناف الستة وفي القرض من كلّ صنف بيناه فيما سبق.

6. والربا حرام حرمة شديدة جدا لقوله سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ وقوله سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾ فهو حرب على الله سبحانه ورسوله ﷺ كما في الآية. وكذلك في حديث رسول الله ﷺ تحريم شديد للربا:

أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **"اجتنبوا السبع الموبقات وفيها: وآكل الربا"**[14].

وأخرج أبو داود عن ابن مسعود قال: **"لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده"**[15].

وأخرج الدار قطني عن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - أن النبي ﷺ قال: **"لدرهم ربا أشد عند الله تعالى من ست وثلاثين زنية في الخطيئة"**[16].

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **"الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم"**[17].

فما هي هذه الجريمة التي يكون مرتكبها معلنا حربا على الله ورسوله

---

13 البيهقي: 350/5 وهو تكملة الحديث السابق.

14 البخاري: 2560، 6351، مسلم: 129

15 أبو داوود: 2895، الترمذي: 1127، ابن ماجه: 2268، أحمد: 83/1، 87، 304/3

16 تفسير القرطبي: 364/3

17 المستدرك: 37/2، الدر المنثور: 364/1، مجمع الزوائد: 116/4

ﷺ ؟ وما هي تلك الجريمة التي يكون ارتكابها أشدّ من الزنا بست وثلاثين مرة أو كأن ينكح الرجل أمّه؟ ... إنها الربا التي تهدم المجتمعات وتقودها إلى الجشع والاستغلال وامتصاص الدماء لدرجة استرقاق البشر، والغريب في أمرها أنها حيث حلت في القديم والحديث على اختلاف القديم والحديث تجدها مرتبطة باستعباد الناس وعدم تورع مرتكبها عن أبشع وسيلة ورذيلة والهرولة وراء كل ما يؤدي لزيادة ماله وإن كان في أساليبه تدمير البلاد والعباد ونشر الإفساد والفساد:

ففي الجاهلية وقبل مجيء الإسلام كان المرابون يستعملون الربا في استرقاق الناس، فقد كان المرابي يزيد الدين بزيادة الأجل حتى يؤدي بالمدين إلى عدم القدرة على السداد فيكون الحل أن يبيع المدين نفسه للدائن لسداد دينه ويصبح رقيقاً يباع ويشترى ويمتهن، وكان أصحاب الأموال يستعملونها لزيادة رقيقهم والهيمنة على الأماكن التي فيها يَحِلّون، بالإضافة إلى وسائلهم الأخرى التي ليس هذا مجال بحثها.

فكان الربا وسيلة من وسائل استرقاق الناس وامتصاص دمائهم والهيمنة عليهم.

وعلى الرغم من تطور المجتمعات على مر السنين حتى أيامنا هذه إلا أن هذه الصفة بقيت ملازمة للربا حيث حل استعباد الناس واسترقاقهم والهيمنة عليهم مع تنوع الوسائل والأساليب.

لقد أصبحت للربا في عصرنا كيانات ومؤسسات نشرته انتشاراً فظيعاً حتى لا تكاد تخلو منطقة ذات شأن من بنك أو مؤسسة مالية أو مصرف مالي قائم في مركزه وفروعه على الربا، وكأن واقعنا اليوم هو ما ينطق به حديث رسول الله ﷺ: **"يأتي على الناس زمان يأكلون الربا،**

فمن لم يأكله أصابه من غباره"[18] أخرجه النسائي عن أبي هريرة ﷺ.

لقد ربط الغرب الرأسمالي معظم بلاد العالم، إن لم يكن كلها، ربطها اقتصادياً بعجلة البنوك الرئيسة في بلاد الغرب إما مباشرة مع بنوكه الرسمية أو غير مباشرة مع البنك الدولي والصندوق الدولي، وجعل النظام الربوي عصب تلك البلاد في بنوكها المركزية والبنوك التجارية الأخرى، ثم رسم سياسات مع المتنفذين في تلك البلاد تربطهم بالقروض مع تلك الدول الرأسمالية وتكون تلك أولى خطوات الانهيار الاقتصادي في تلك البلاد حيث خطوات تراكم الزيادات الربوية على القروض بحساب مركب حتى تصبح تفوق رأسمال القرض ذاته أضعافاً مضاعفة وعندها يصبح البلد قد وقع فريسة في يد الغرب يتعاون هو وعملاؤه لامتصاص ثروات تلك البلدان بطريقة تبقيه يتحرك حركة المذبوح.

وبعدها تأتي الخطوة الثانية بأن يتولى المهمة صندوق النقد الدولي لتصحيح الاقتصاد وتبدأ وصفاته بإرهاق الناس بالرسوم والضرائب وارتفاع الأسعار، كلّ هذا العناء ليحصل البلد الواقع في المصيدة على شهادة حسن سلوك اقتصادي يستطيع من خلالها أن يؤجل سداد الديون الأصلية بأخذ ديون أخرى مع ربا جديد، أي أن هذا الخضوع لسياسة الصندوق القاتلة المرهقة ليس إلا مقابل تأجيل سداد الديون إلى آجال قادمة مع إضافة ديون جديدة.

إن هذه السياسة الخبيثة الربوية هي لاسترقاق البلاد والعباد والهيمنة عليها بتسميات أخفّ وقعاً مثل سياسة التصحيح الاقتصادي بدل اسمها الحقيقي تسريع الانهيار الاقتصادي، كما أبدلوا اسم الربا ووضعوا مكانه اسما أخف وقعاً قالوا عنه (الفائدة).

---

[18] النسائي: 4379، أبو داوود: 2893، ابن ماجه: 2269، أحمد: 2/494

هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فإن تلك الدول الرأسمالية وبنوكها وشركاتها التجارية تستعمل الإغراء والتهديد لتجعل البلدان الأخرى تضع أموالها التي تجنيها من ثرواتها في بنوك الغرب الرأسمالي لتسير عجلة اقتصاده بأقصى سرعة بأموال تلك البلدان ثم إذا شذت تلك البلدان عن الطوق جمدت أموالها وتحكمت في امتصاص دماء تلك البلدان بأموالهم كما صنعت مع عدد من البلدان المعروفة في هذه الحقبة.

وعلى الرغم من عدم ذكرنا لتأثير القروض الربوية على الأفراد فإن ذلك لا يعني قلة هذا الأثر، فأخذ الأفراد للقروض الربوية يجعلهم في دوامة، فالربا يتضاعف على القرض ورأسماله ثابت ويبقى ثقل سداد الدين ورباه يضغط على الشخص وبخاصة إن كان غير ميسور الحال - وهم الغالبية - حتى يجعله في مأساة السجون وضيق العيش.

هذا عن الأثر المباشر للربا من حيث إثقال كاهل البلاد بالديون والربا عليها، ومن حيث تجميد أموال من شبّ عن الطوق من تلك البلدان.

أما عن الأثر غير المباشر فهو مدعاة لأن تستثمر تلك البنوك أموالها بأية وسيلة أو رذيلة لتتمكن من جني أرباح للبنك ذاته وليعطى جزء منه ربا لأصحاب الأموال، وهذا يفسر تلك السوق الرائجة لتجارة الفساد بأنواعه في الغرب الرأسمالي والسائرين في ركابه.

ومن جهة أخرى ما يؤديه من تخدير لأصحاب الأموال لاعتمادهم على ما يأخذونه عليها من ربا دون أن يستثمروها بمباشرة منهم في مشاريع تنفع البلاد والعباد وتنتج له ربحاً حلالاً طيباً.

إننا لم نتعرض بالتفصيل لكل الأهداف الخبيثة وراء إنشاء هذا النظام الرأسمالي الربوي الذي أصبح له دور كبير في بلاد المسلمين وكذلك لم نتعرض بالتفصيل للرؤوس الماكرة المهيمنة عليه حاليا من طبقات كافرة يهودية ورأسمالية ولا للسياسات الاقتصادية الربوية الماكرة المرسومة لبلاد المسلمين

أو مؤامرات البنك الدولي وسياسات صندوق النقد الدولي التي لم تسلم منها بلاد المسلمين فحسب بل كلّ من وقع في مصيدتهما من الدول الأخرى، لم نتطرق لكل ذلك فهذا ليس مكان تفصيله، ولكننا قصدنا بما بيناه من أمور قليلة عن خطورة هذا النظام الربوي أن يدرك المرء شيئا من معاني كون الربا حرب على الله ورسوله وكونه أشد فتكا في المجتمعات من آفة الزنا على عظم سوئها وفحشائها.

وإن الأمم لن تشعر بالسعادة الاقتصادية ولا بالاستقرار الاقتصادي ما دام النظام الربوي يتحكم بحياتها الاقتصادية.

وهنا قد يقولون إن العلاقات الاقتصادية متحركة بين الناس، ففيهم الغني صاحب المال الوفير فإن لم يجد بنكاً يحفظ له ماله ويعطيه ربا عليه فإن أمواله ستبقى معطلة غير منتجة معرضة للضياع سدى، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإن منهم الفقراء أو ذوي حاجة عليهم دين لا يستطيعون سداده، فوجود البنوك الربوية قد تساعدهم لسداد ديونهم عاجلاً مقابل قرض ربوي للبنك يسدد آجلاً.

وقد يحتاج هؤلاء الأشخاص إلى بعض الأمور ولا يكون لديهم مال، فبالاقتراض من البنك يستطيعون تسيير أمورهم الحياتية العاجلة ويسدد القرض على أقساط آجلة.

فكيف يمكن أن تحل تلك المشاكل دون الإبقاء على النظام الاقتصادي الربوي الحالي؟

أما حلّ هذه المشاكل فقد بينها الإسلام بياناً شافياً يجعل الإنسان يشعر بالطمأنينة الاقتصادية في جميع مناحي الحياة وينتفع بالثروات انتفاعاً يضمن العيش السليم ورغد العيش دون استعباد العباد أو إفساد البلاد.

فهو نظام من لدن لطيف خبير حكيم عليم، يعلم ما يصلح مخلوقاته وما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

أما كيف يعالجها، فهذا بيانه:

1. لقد حرم الإسلام كنز المال، وكنز المال هو جمعه لغير حاجة بل يجب تشغيله في مشاريع صناعية أو زراعية أو تجارية أو أي وصف آخر يقره الشرع حتى تبقى الثروة متداولة متحركة نشطة في المجتمع ينتفع بدخلها صاحبها والعاملون فيها والفقراء من زكاة وباقي الأصناف، وينتفع المجتمع بعامة من مشاريعها.

وبالتالي فتخزين الثروة لغير حاجة أي كنزها دون تشغيلها في مشاريع هو حرام في الإسلام ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة/آية34 هذا عن أحوال الأغنياء.

2. أما من هم في فقر وحاجة:

أ. فقد حثّ الإسلام على إعطاء القرض بدون ربا وجعل أجر قرض مرتين كصدقة: **"قرض مرتين يعدل صدقة مرة"**[19] أخرجه البزار عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ.

ب. إن كان مديناً وقد أعسر فلا يستطيع السداد فقد أوجب الإسلام إمهاله ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ وتندب الصدقة عليه بإعفائه من الدين كله أو بعضه ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

ج. جعل للمدين نصيبا في بيت المال من الزكاة لسداد دينه ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ التوبة/آية60.

د. أباح العمل ويسر أحكامه وحث عليه وأوجبه على من كان في حاجة ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك/آية15 **"إن من الذنوب ما لا يكفرها إلا الهموم في طلب الرزق"**[20].

3. ثم يأتي دور الدولة:

---

[19] تفسير الطبري: 25/16، 85/17، تفسير القرطبي: 359/3

[20] المبسوط للسرخسي: 258/30، كتاب الكسب لمحمد بن الحسن

أ. فهي التي تتولى سداد الحاجات الأساسية لجميع أفراد الرعية من مأكل وملبس ومسكن سواء من دخله الذي يأتيه من عمل أو من إنفاق من يجب عليه نفقته أو إن لم يكن هذا ولا ذاك فمن بيت مال المسلمين: **"والسلطان ولي من لا ولي له"**[21].

ب. ثم هي تتولى الملكية العامة من معادن في باطن الأرض كالذهب والحديد والنحاس والبوتاس والفوسفات وغيرها من معادن صلبة أو سائلة كالبترول أو غازية، وتوصل هذه الأموال لأفراد المسلمين كلهم.

ج. وهي تتولى ملكية الدولة من خراج وجزية وغنائم وغيرها وتعطي منها الفقراء دون الأغنياء ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر/آية7.

د. ثم هي تتولى إقراض أصحاب المشاريع بدون ربا أو هبات للمزارعين كما تمّ في عصر الخلفاء الراشدين فتساعدهم على العيش الطيب الكريم.

هـ. وتتولى الدولة فرض الضرائب على أغنياء المسلمين لسدّ حاجة الفقراء وما أوجبه الله على المسلمين إن لم يكن في بيت المال مال.

وفي الختام نقول:

- فإذا كان الغني يحرم عليه كنز ماله بل عليه تشغيله في مشاريع هو يتولاها بعمله وعرقه لينتفع بها الناس من حيث العمل فيها والأثر الاقتصادي على المجتمع، وينتفع بزكاتها الفقراء والمساكين وباقي أصنافهم.
- وإذا كان الفقير تسد حاجاته الأساسية بالعمل أو إنفاق الولي أو نفقة الدولة من بيت المال.
- وإذا كان المدين يمهل للسداد أو يعفى من دينه بعضه أو كله.
- وإذا كان يقرض صاحب المشروع دون ربا أو يوهب هبة.
- ثم إذا كانت الدولة توزع الملكية العامة وهي كثيرة على المسلمين، وتعطي من ملكية الدولة للفقراء دون الأغنياء كي لا تتداول الثروة عند فئة من

---

[21] أحمد: 47/6، 165، الموطأ: 1053

الأمة - الأغنياء - دون غيرها.

ثم إن الإسلام لم يترك سد الحاجة للمغامرة والتوقعات، فقد أوجب فرض ضريبة على أغنياء المسلمين لسد حاجة الفقراء الأساسية والجهاد وكل ما كان واجباً على المسلمين وبيت المال إن لم يكف بيت المال.

أبعد هذا يمكن أن يقال كيف يتصرف بأموال الأغنياء أو تسد حاجة الفقراء إن لم يكن هناك ربا ومرابون يستثمرون أموال الأغنياء بالربا ويقرضون الفقراء بالربا؟

إن المشكلة أن الأنظمة السائدة في عالمنا اليوم خلال هذا القرن العشرين هي أنظمةٌ بشريةٌ رأسماليةٌ أو اشتراكيةٌ قميئةٌ قبيحةٌ سيئةُ السمعة.

أطلقت بعضها - الرأسمالية - العنان للملكية الخاصة ولم تعترف بغيرها وجعلتها تحوز المال بأية وسيلة هابطة رديئة تحطم القيم وتدمر المجتمع، وجعلوا عصب حياتهم الربا فانتفخت بطون أصحاب الشركات وبيوت المال وهيمنت حتى على الحكم ومناحي الحياة واستعبدت البلاد والعباد ممن ساروا في فلكها واستنوا سنتها.

ومنع بعضها - الاشتراكية - الملكية عموماً وحصرتها في الدولة، فنقلت حفنة الجشعين المنتفخين من الشركات إلى الحكام ورؤساء الأحزاب الحاكمة فامتصوا خيرات الناس وعاثوا في الأرض الفساد من خلال هذا النظام الاقتصادي العفن.

فأين هذا من نظام وضعه رب العالمين فردّ الأمور إلى نصابها ووضعها في الموضع الذي يجب أن تكون فيه؟ ... فالخالق هو سبحانه الذي يعلم ما فيه خير مخلوقاته:

= فكانت الملكية الخاصة.

= وكانت الملكية العامة.

= وكانت ملكية الدولة.

كلها تسير في انتظام حسب أحكام الشرع دون أن تطغى واحدة على أخرى أو تتجاوز حدها، في نظام عادل من حكيم خبير، ينفق فيه المال حلالاً طيباً:

- يؤدى منه فرض الله سبحانه.
- ويؤدى منه فرض نفقة المرء ومن يعول من أهله.
- ويتصدق به فوق الفرض إحساناً على الفقراء والمساكين وذوي الحاجة.
- ويتم ذلك في غير فساد ولا إفساد ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ القصص/آية77.

نظام اقتصادي يورث السعادة لبني البشر ـ ويجعل الحياة الدنيا طريقاً حلوةً ممتعةً لنعيم الآخرة، لا جشعٌ فيها ولا رباً ولا استغلالٌ، بل تكون رغداً حلالاً طيباً من العيش، سلاماً وأمناً من الله ومع الله القوي العزيز، الحكيم الخبير، بطاعته سبحانه وطاعة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - لا حرباً مع الله ورسوله وولوغاً في الجريمة والفحشاء.

هذا هو الحق وليس بعد الحق إلا الضلال والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

وأخيراً انتهت زيارة الطاغية ترامب إلى المنطقة

حزب التحرير

بدأ ترامب زيارته إلى السعودية في 2025/5/13، ثم إلى قطر في 2025/5/14، وختمها إلى الإمارات في 2025/5/15، وأنهى جولته في 2025/5/16. ثم أرفق هذه الزيارة بخديعته بأنه لن يزور كيان يهود من باب الضحك على ذقون المغفلين بأن دعم ترامب لكيان يهود قد اهتز! علماً بأن كيان يهود وسع هجماته على القطاع بعد مغادرة ترامب لتلك الدول الثلاث، ومن المقطوع به أن كيان يهود لا يستطيع البدء بعدوانه ولا بتوسيعه على القطاع دون الموافقة التامة من أمريكا وخاصة في عهد ترامب! ولم يكتف ترامب بذلك بل أوضح أمامهم علناً لا سراً بالمتاجرة العقارية في القطاع: (وأوضح ترامب من قطر: "أنا مهتم بموضوع قطاع غزة، وأعتقد أنها منطقة مهمة جداً من الناحية العقارية.. واقترح ترامب، مرة أخرى، نقل السكان الفلسطينيين من القطاع إلى دول أخرى قال إنها "مستعدة لاستقبالهم"، الخميس. بي بي سي 2025/5/15) ألا ساء ما يحكمون! وهكذا استقبلوه:

1- وصل ترامب الرياض واستقبل استقبالاً حافلاً وكأنه نزل عليهم من السماء منقذاً ومخلصاً وليس عدواً للإسلام والمسلمين.. اعترف بالقدس عاصمة ليهود ونقل سفارته إليها وضم الجولان لكيان يهود.. استقبلوه استقبالاً حافلاً وهو يصرح بين ظهرانيهم أنه يريد أن يسرح ويمرح في القطاع يبيعه ويشتريه ويهجر أهله منه.. يستقبلونه استقبالاً حافلاً مع أنه صرح في رئاسته الأولى على مسمع منهم: (واصل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مطالبته للسعودية بالدفع مقابل الحماية الأمريكية للمملكة. فللمرة الخامسة خلال أقل من أسبوعين، طالب ترامب ملك السعودية سلمان بن عبد العزيز بالدفع مقابل الحماية، قائلاً ما كان للسعودية أن تكون موجودة لولا الحماية الأمريكية. الجزيرة، 2018/10/11). ثم وقبل أن يغادرهم يعطونه أموال المسلمين: (وقال البيت الأبيض إن الرئيس ترامب يضمن التزاما تاريخيا باستثمار السعودية 600 مليار دولار في الولايات المتحدة.. وأضاف أن الولايات المتحدة والسعودية وقعتا أكبر اتفاقية مبيعات دفاعية في التاريخ بنحو 142 مليار دولار. الجزيرة، 2025/5/13) ولم يكتف بنهب أموال المسلمين بل يزيد عليها بالتطبيع مع يهود: (قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الثلاثاء، إن السعودية ستضم قريبا إلى الاتفاقيات الإبراهيمية.. وأضاف أنه يأمل بشدة أن توقع السعودية قريبا اتفاق تطبيع مع إسرائيل. سكاي نيوز عربية، 2025/5/13). ثم (التقى ترامب رئيس المرحلة الانتقالية أحمد الشرع في الرياض قبل التوجه لقطر ثاني أيام زيارته للمنطقة.. وحضر الاجتماع الرئيس التركي أردوغان عبر الإنترنت... بي بي سي، 2025/5/14) وكانت صحيفة التايمز البريطانية قد كشفت المستور من أوضاع أحمد الشرع: (وأضافت التايمز بأن الرئيس الشرع لمّح إلى

إمكانية تدشين "بُرج ترامب" في العاصمة السورية دمشق، في محاولة لاستمالة الرئيس الأمريكي، عبر وسطاء يُعتقد أن بينهم شخصيات بارزة في السعودية وتركيا.. وقالت التايمز إن الشرع قد يعرض البدء في محادثات للانضمام إلى اتفاقات أبراهام، وفق ما علمت الصحيفة البريطانية من مصادر أمنية.. بي بي سي، 2025/5/13)، وكما يفهم من ذلك فإن ابن سلمان والرئيس التركي كانا "عرّاب" ذلك!

2- ثم ينتقل إلى قطر فيستقبلونه استقبال الأصدقاء وليس الأعداء وهو الذي فرض عليهم أن يكونوا مركزاً للتفاوض مع يهود لإعطائهم بالمفاوضات ما لم يستطيعوه في الحروب مع فئة مؤمنة قليلة العدد والعتاد.. فرض عليهم أن يكونوا مركزاً للتفاوض مع يهود وكأن قطر على الحياد بل هي إلى يهود أقرب.. ثم يستقبلونه استقبال الأصحاب والأحباب، فيزور قاعدته بين ظهرانيهم دون أن يستطيعوا رفض قاعدته، في الوقت الذي هي فيه مركز قتال تشنه أمريكا على المسلمين حيث كانوا.. يقول ترامب أمام قاعدته على مرأى ومسمع من قطر: (أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الخميس أن قطر سوف تستثمر 10 مليارات دولار في قاعدة العديد الجوية، أكبر قاعدة عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط... سكاي نيوز عربية، 2025/5/15) وكان ترامب يتحدث في ختام زيارته لقطر.

3- ثم ينتقل ترامب إلى الإمارات محطته الثالثة والأخيرة من جولته الخليجية.. ثم يرى فيها ما لا يرى في غيرها! إنهم يغلقون المسجد لاستقباله، يغلقون المسجد إكراماً له! فيقول: [(..وقال ترامب للصحفيين داخل المسجد.. "هذه أول مرة يُغلقونه، تكريماً للولايات المتحدة. هذا أفضل من تكريمي. هذا تكريم للوطن، وهي تحية عظيمة".. ومنح ابن زايد، ترامب، وسام زايد - أعلى وسام تمنحه دولة الإمارات إلى قادة الدول وملوكها ورؤسائها..) ثم تكون استثمارات الإمارات 1.4 تريليون دولار: (أعلن الرئيس الإماراتي، خلال استقباله نظيره الأمريكي، في قصر الوطن في أبوظبي، أن بلاده ستستثمر 1.4 تريليون دولار في الولايات المتحدة خلال السنوات العشر المقبلة.. بي بي سي، 2025/5/15)] ثم يفتخر ترامب بما نهبه في جولته من أموال المسلمين بخيانة حكامهم فيقول على مسامعهم: (إن "هذه جولة قياسية. لم يسبق أن جمعت جولة بين 3.5 و4 تريليونات دولار خلال هذه الأيام الأربعة أو الخمسة فقط". بي بي سي، 2025/5/15)!! ثم غادر ترامب المنطقة على سجادة زرقاء بعد أن حصد أموالها (..وخرج ترامب إلى مدرج المطار في أبو ظبي برفقة رئيس الإمارات الشيخ محمد بن زايد ودخل الزعيمان في أحاديث جانبية على سجادة زرقاء فاتحة.. سي إن إن، 2025/5/16)

4- هكذا يستقبله الحكام في بلاد المسلمين دونما حياء من الله ورسوله والمؤمنين! ومع كل هذا وذاك هو يتاجر بهم وبأموال المسلمين، ينهب من أموال المسلمين التي لا يملكها أولئك الحكام: (وفي قطر، قال ترامب، إن جولته الخليجية قد تحصد صفقات تصل قيمتها

إلى أربعة تريليونات دولار، خلال اجتماع مع رجال أعمال في الدوحة.. وأضاف "هذه جولة قياسية. لم يسبق أن جمعت جولة بين 3.5 و4 تريليونات دولار خلال هذه الأيام الأربعة أو الخمسة فقط". بي بي سي، 2025/5/15)

5- إنها لأحدى الكبر أن يكون هؤلاء حكاماً في بلاد المسلمين، يجعلون البلاد ساحة لهو وزهو لترامب وأمثاله فيصولون فيها ويجولون.

إنها لأحدى الكبر أن يكون هؤلاء حكاماً في بلاد المسلمين يصفقون باليمين والشمال للكفار أعداء الإسلام والمسلمين، ويقلبون الخيانة أمانة، والكذب صدقاً، ويتحكمون في أمر العامة بالسيئات والموبقات.. وصدق رسول الله ﷺ في حديثه الذي أخرجه أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»**

6- أيها المسلمون: **﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾**، إنه مهما تجبر ترامب وغلبت عليه عنجهيته فسينتهي أمره كما سبق لأمثاله.. فإن هذا المهووس بطغيانه قد نسي أو تناسى ما حدث لأشياعه من قبل.. فقد سبقه في طغيانه أكاسرة فارس وقياصرة الروم بعد أن طغوا وبغوا فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا بالجهاد وفتح البلاد وإضاءتها بنور الإسلام.. وإنه مهما غلبت على حكام المسلمين شقوتهم فإنهم زائلون بإذن الله، فأرض المسلمين طاهرة، لن يستقر فيها من يحاول تدنيسها من الكفار المستعمرين.

7- أيها المسلمون: إن حزب التحرير الرائد الذي لا يكذب أهله مطمئن بأن هذا الحكم الجبري الذي فيه نعيش سينتهي، وتعود الخلافة الراشدة من جديد بإذن الله، أخرج أحمد في مسنده عن حُذَيْفَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«.. ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ. ثُمَّ سَكَتَ»**، ولكن سنة الله اقتضت أن لا ينزل علينا ملائكة من السماء تقيم لنا خلافة تقاتل عدونا ونحن قاعدون، بل ينزل ملائكته مدداً وبشرىً بنصره رجالاً آمنوا بربهم وزادهم هدى، جُنداً مسلمين، صُبراً في الحرب، يتقون بإمامهم ويقاتلون من ورائه أعداءهم ويعيدون خلافتهم ومن ثم تكون لهم البشرى **﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.

20من ذي القعدة 1446هـ **حزب التحرير**

الأحد, 18 أيار/مايو 2025م

المحتويات

القرآن الكريم معجزة لغوية تثبت صدق رسالة النبي محمد ﷺ

مصعب عمير– ولاية باكستان

مقدمة: المعجزة اللغوية الفريدة للقرآن الكريم

إن الجذر اللغوي لكلمة إعجاز يعود إلى المصدر "عَجِزَ" بمعنى عدم القدرة. والإعجاز هو الدليل المؤكد على صدق الرسالة، وعند تطبيق مفهوم الإعجاز على القرآن الكريم نجد الإعجاز اللغوي والتفرّد في التراكيب والأسلوب، بحيث يعجز البشر عن مضاهاته أو الإتيان بمثله، ليكون حجة على صدق رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ، وقد تحدّى الله الناس بالقرآن ووجّه هذا التحدي إلى أعظم شعراء العرب المعروفين بالفصاحة والإتقان للغة العربية، تحدياً مفتوحاً حتى قيام الساعة.

سنّة الله سبحانه وتعالى في إثبات صدق رسالات أنبيائه

من سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون أن يُثبت صدق الرسالة التي يبلغها رسله عليهم السلام عنه سبحانه وتعالى، فكانت المعجزات هي طريقة إثبات صدق النبوة، وكانت المعجزات ملائمة للأقوام التي ينزل عليها الوحي. ذكر الإمام الباقلاني رحمه الله في كتابه إعجاز القرآن: "فقد أيّد الله جل جلاله موسى عليه السلام وكان عصره عصر سحر بفلق البحر، وانقلاب العصا حية تسعى، وانبجاس الحجر الصلد بعيون الماء الرواء، وأيّد عيسى عليه السلام وكان عهده عهد طب بإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين، وإحياء الموتى بإذنه".

لذلك نرى كيف أن الله سبحانه وتعالى عندما أرسل موسى عليه السلام في عصر أجاد فيه الناسُ السحرَ وأتقنوه على أكمل وجه، أيّده بمعجزات لم يتمكن حتى أبرز السحرة وقتها من مجاراته فيها، ليسجد أعظم السحرة معلنين إيمانهم بدين موسى عليه السلام. بالمثل عندما أرسل الله سبحانه عيسى عليه السلام في عصر تفوق فيه الناس في الطب، أيّده بمعجزة إحياء الموتى وشفاء المرضى،

فكان هذا تحدياً لم يستطع أمهر أطباء بني إسرائيل الفوز فيه، فأيقن الناس حينها صدق رسالته عليه السلام.

إعجاز القرآن اللغوي ثبت صدق رسالة النبي محمد ﷺ

بالنسبة لخاتم النبين، سيدنا محمد ﷺ، فقد بُعث إلى قومٍ برعوا في اللغة العربية وأتقنوها أيّما إتقان، فأيّده الله بمعجزة القرآن الكريم، المعجزة اللغوية التي لا يمكن لبشر محاكاتها، وعلى عكس المعجزات الأخرى التي ثبتت في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة للنبي ﷺ، كان القرآن الكريم معجزة خالدة إلى يوم القيامة، تتحدى الناس على مر الأزمنة والعصور، يقول الإمام الباقلاني: "ولما أرسل رسوله محمدا ﷺ إلى الناس أجمعين، وجعله خاتم النبيين - أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه من المرسلين، وخصه بمعجزة عقلية خالدة، وهى إنزال القرآن الكريم، الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً".

لقد كانت المعجزة اللغوية للقرآن الكريم مناسبة تماماً للمجتمع الذي نزل فيه، وقد شرح الإمام الباقلاني عجز العرب أمام تحدي القرآن الكريم رغم براعتهم اللغوية، حيث قال: "وكان ذلك في زمان سما فيه شأن البيان، وجلت مكانته في صدور أهله، وعرفوا باللسن والفصاحة، وقوة العارضة في الإعراب عن خوالج النفوس، والإبانة عن مشاعر القلوب، وظلّ رسول الله صلوات الله عليه، يتحداهم بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه، والتمكن منه، ولم يزل يقرعهم ويعجزهم، ويكشف عن نقصهم، حتى استكانوا وذلوا". زِد على ذلك أن العرب كانوا منشغلين بشدة في إتقان اللغة العربية لدرجة أنهم لم يتقنوا الكثير من الأمور الأخرى.

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن معجزة خاتم النبين محمد ﷺ معجزة باقية بين أيدي الناس بعد وفاته ﷺ، وفي خصوصية معجزة القرآن، يقول ابن خلدون رحمه الله في مُقدّمته: "فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي

المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس لوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها فكثر المصدق والمؤمن وهو التابع والأمة".

تحدي القرآن الكريم لأمهر اللغويين العرب:

تحدّى الله سبحانه وتعالى العرب بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم، ثم خفف الله عز وجل التحدي، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور فقط، ثم بسورة واحدة، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم، وتتكون من ثلاث آيات فقط، وقد لخص العالم الشهير السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) تاريخ هذا التحدي في قوله، (وَلَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ وَكَانُوا أَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ ومصاقع الْخُطَبَاءِ وَتَحَدَّاهُمْ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَأَمْهَلَهُمْ طُولَ السِّنِينَ فَلَمْ يَقْدِرُوا) كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ**﴾ ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**﴾ الْآيَةَ ثُمَّ كَرَّرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ**﴾ الْآيَةَ فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ تشبهه على كثرة الخطباء فيهم وَالْبُلَغَاءِ نَادَى عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِ الْعَجْزِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾".

فشل ضليعي اللغة العربية في زمن النبي محمد ﷺ

رغم وجود الكثير من اللغويين المهرة في زمن النبي محمد ﷺ، سواء في الشعر أو النثر، إلا أنهم فشلوا أمام تحدي القرآن الكريم ولم يستطيعوا مجابهته، وقد

ذكر الإمام الباقلاني: "وقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه، وحيّر ألبابَهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، وافترقت كلمة الكافرين على وصفه، وتباينت في نعته، فقال بعضهم، هو شعر، وقال فريق: إنه سحر، وزعمت طائفة أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، وذهب قوم أنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون. وقال غير هؤلاء وهؤلاء: لو نشاء لقلنا مثل هذا".

عندما كان العرب يستمعون إلى القرآن الكريم، كانوا يُغمرون بهيبته البلاغية العظيمة، حتى إن سيد اللغة العربية الوليد بن المغيرة عندما استمع إلى النبي ﷺ وهو يتلو القرآن، قال: "والله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه وقصيده مني والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمورق أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه"، وقد جاء اعترافه هذا رغم استمراره في كفره كبراً وعناداً.

ومن الجدير بالذكر أن أعظم علماء اللغة العربية في تاريخ البشرية جمعاء عاشوا في زمن النبي محمد ﷺ، ومع ذلك لم يتمكن أحد منهم من أن يأتي بمثل سورة واحدة من سور القرآن، بل إن أكثرهم علماً لم يحاول حتى ذلك.

الأسلوب المعجز للقرآن الكريم:

في كتابه (إعجاز القرآن) قال الإمام البلقاني رحمه الله: "تأليف القرآن البديع، ووصفه الغريب، ونظمه العجيب"، وقال الإمام الخطابي رحمه الله في كتابه (بيان إعجاز القرآن): "اعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاءَ بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني"، ووصف الإمام السيوطي رحمه الله القرآنَ في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) قائلاً: "وَبَلَاغَةِ أُسْلُوبٍ تَبْهَرُ الْعُقُولَ وَتَسْلُبُ الْقُلُوبَ وَإِعْجَازُ نَظْمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ".

إن ألفاظ القرآن وأسلوبه والمرامي المتضمنة في الآيات تأسر مشاعر الإنسان بالكامل، ويتجلى إعجازه بأوضح صورة في فصاحته وبلاغته العالية بشكل يجعله في قمة الفصاحة والبيان. يُقال عن الفصاحة "سلامة الألفاظ من اللَّحْن

والإبهام وسوءِ التأَليف"، ويُقال عن علم البلاغة "عِلْمُ الْمَعانِي والبَيانِ والبَديعِ"، بينما يشمل علم المعاني على المعاني المتضمَّنة في الكلمات بشكل يتيح اختيار البنية اللغوية التي تصوّر المفهوم بأنسب الطرق وأكثرها ملاءمة للمعنى المُراد، ويتعلق علم البيان بالمبادئ المرتبطة بمقاصد الجُمل بحيث تُناسب الألفاظ المستمع حسب ظروفه، أما علم البديع فيتناول تعزيز جمال الخطاب من خلال اللفظ والمعنى، بهدف تقوية تأثيره عبر الإيضاح والإفصاح. أما الأسلوب فهو يتعلق بتنظيم المعنى في كلمات منسقة، وهو الطريقة التي تُصور بها المعاني في تعبيرات لغوية. وعند الحديث عن أسلوب القرآن الكريم نرى كيف أنه يتميز بالوضوح والقوة والجمال الذي لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله، وفيما يتعلق بنظمه الأدبي فإننا نلاحظ بأنه لا يتبع الأساليب القياسية للعرب، فهو لا يُضاهى في نظمه، بل إنه لا يلتزم بأي شكل من أشكال الأدب من شعر أو نثر.

وضوح الأسلوب المعجز للقرآن الكريم

ووضوح الأسلوب يكون ببروز المعاني المراد أداؤها في التعبير الذي أديت به، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "وكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه"، وفي التعليق على قوله تعالى ﴿**وَالْغَوْا فِيهِ**﴾ قال مجاهد: "الْمُكَاءُ وَالتَّصْفِيرِ، وَتَخْلِيطٌ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَأَ، قُرَيْشٌ تَفْعَلُهُ"، وفي تفسيره لها ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يعيبونه أي "يقومون بتشويهه والطعن فيه". في الواقع إن العرب رغم براعتهم اللغوية ذهلوا بوضوح القرآن، ما دفعهم إلى تجنب سماعه خشية تأثيره عليهم. علّق الإمام البلقاني رحمه الله على الوضوح الفريد للقرآن الكريم قائلا: "فما أشرفه من كتاب يتضمن صدق متحمله، ورسالة تشتمل على قول مؤديها. بين فيه سبحانه أن حجته كافية هادية، لا يحتاج مع وضوحها إلى بينة تعدوها، أو حجة تتلوها، وأن الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات، والتشكك في المشاهدات".

قوة الأسلوب المعجز للقرآن الكريم

إن اللغة العربية ليست لغة ذات قواعد نحوية دقيقة ومحددة فحسب، بل هي لغة صوتية تنتقل فيها معاني الكلمات بدقة من خلال طريقة نطقها بالإضافة إلى معانيها، وقوة الأسلوب تكون باختيار الألفاظ التي تؤدي المعنى بما يتلاءم مع المعنى. فالمعنى الرقيق يؤدي باللفظ الرقيق، والمعنى الجزل يؤدى باللفظ الجزل، والمعنى المستنكر يؤدى باللفظ المستنكر وهكذا. قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**﴾، ويعبر عن المعاني الجزلة بكلمات ذات وقع صوتي جزل، قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِّلطَّاغِينَ مَآباً * لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً**﴾، وأما المعنى المستنكر فيعبر عنه بكلمات تُنكرها الأذن، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾.

جمال الأسلوب في القرآن الكريم:

أما جمال الأسلوب فيكون باختيار أصفى العبارات وأليقها بالمعنى الذي أدته، وبالألفاظ والمعاني التي معها في الجمل، مع الكلمات والمعاني الأخرى التي تُكمل هذا المراد، سواء أكان في الجملة نفسها أم في الجمل السابقة أو اللاحقة لها، والنتيجة هي صورة واضحة قوية تثير الخيال وتحرك المشاعر ببلاغة لا تضاهى، قال تعالى: ﴿**رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾.

قال الإمام البلقاني واصفاً جمال الأسلوب في القران الكريم: "والمنادى على نفسه بتميزه، وتخصصه برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه... فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية"، وقال سيد قطب رحمه الله في كتابه الموسع (التصور الفني في القرآن): "فانظر إلى تعبير جميل كهذا التعبير: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾، هذا التعبير الذي يرسم صورة حية للخزي في يوم القيامة، ويصور هؤلاء المجرمين شخوصاً قائمة يتملاها الخيال، وتكاد تبصرها العين لشدة وضوحها، وتسجيل هيئتها (ناكسو رؤوسهم) وعند من؟ (عند ربهم) فيخيل للسامع أنها حاضرة لا متخيلة... هذه الصورة للهول لا تساوي من باحث في البلاغة".

الصيغة الأدبية للقرآن الكريم

حيّر القرآن الكريم خبراءَ اللغة العربية بتميّز طرازه في التعبير، والذي يختلف عن الأشكال المعروفة من الشعر والنثر، بل إنه لا يزال يبعث الدهشة في نفوس من يتعرف عليه حتى يومنا هذا، وقد تحدث الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) عن هذا الطراز العجيب قائلا: "إِعْجَازُ نَظْمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ".

والقرآن طراز خاص من التعبير، ونظمه ليس على منهاج الشعر الموزون المقفّى، ولا هو على منهاج النثر المرسل، ولا هو منهاج النثر المزدوج أو النثر المسجوع، وإنما هو منهاج قائم بذاته لم يكن للعرب عهد به ولا معرفة من قبل. والمزدوج يوصف بأنه "يقوم هذا الأسلوب على تقسيم العبارات، وبراعة الموازنة بين الجمل؛ إذ تتعادل فيه الألفاظ، وتزدوج الجمل في تنسيقٍ منتظم، يتراوح بين الإيجاز والمساواة والإطناب، بحسب مقتضى الحال".

وإن القرآن الكريم لا يتبع أسلوب النثر المسجوع أيضا، فالقرآن الكريم يتميز بتأليف فريد لم يسبق للعرب أن واجهوه من قبل، ولم يتمكنوا من مضاهاته بأي شكل. وكون القرآن طرازاً خاصاً ونسيجاً منفرداً واضح فيه كل الوضوح، فهو يوضح ويستثير ويصور بأسلوب لا يمكن لأي من البشر أن يضاهيه.

وكون القرآن طرازاً خاصاً ونسيجاً منفرداً واضح فيه كل الوضوح

يحتوي القرآن الكريم على نثر يشبه الشعر في بعض جوانبه، ومع ذلك فهو ليس شعراً، بل إنه شكل فريد من النثر لا يطابق أسلوب الشعر، فانظر كيف يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾، ويقول تعالى: ﴿**لن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، هو نثر قريب من الشعر، إذ لو نظمت الآيتان لكانتا بيتين من الشعر هكذا: من الآية الأولى (ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين) ومن الآية الثانية (لن تنالوا البر حتى، تنفقوا مما تحبون) ولكنهما ليسا شعراً وإنما هو نوع من النثر فريد.

وفي الوقت الذي تجد القرآن يقول هذا النوع من النثر مما هو نثر بعيد عن الشعر كل البعد، قال سبحانه: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾.

الإيجاز والإطناب في النسق البياني في القرآن الكريم

يتشكل القرآن الكريم من مقاطع مكتوبة أو فقرات تتألف من جمل وعبارات، ويختلف طول المقطع المكتوب بين الإطناب والإيجاز من آية إلى أخرى، وفي الوقت نفسه نجد كيف يتوافق هذا التباين تماما مع النفس أثناء التلاوة، حيث يستطيع القارئ أن يتلو الآية في نَفَس واحد، فتجد في القرآن نوعا من النثر تم فيه، فيطيل الفقرة والنفس في النثر، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾، بينما نجد آيات أخرى فيقصر الفقرة والنفس في النثر، قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾. إن هذا الإطناب والإيجاز والتطويل والتقصير في الفقرات والنفس المصاحب لها في المثالين السابقين قد اختلف تماما مع أننا نتحدث عن النوع نفسه من الصياغة الأدبية العربية من النثر.

مع أن كلاً منهما نثر في فقرات. وبينما تجده يبدع في النثر المرسل فيرسل في القول: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾

النثر المسجع في الأسلوب الأدبي للقرآن الكريم

تجده يبدع في النثر المسجع ويسجع فيقول ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾، وتجده يتسامى في الازدواج ويزدوج فيقول تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾.

وتجده يطيل الازدواج فيقول تعالى: ﴿**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً**﴾.

وبينما يسير في سجعة معينة إذا هو يعدل عنها إلى سجعة أخرى، فبينما يكون سائراً بالسجع هكذا ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾ إذا هو يعدل في الآية التي بعدها مباشرة فيقول تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً**﴾، ثم يعدل عن هذه السجعة إلى غيرها في الآية التي بعدها مباشرة فيقول تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**﴾.

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن القرآن الكريم أدهش أعظم علماء اللغة العربية على مر العصور، فهو يشبه أشكال التعبير اللغوي البشري، ولكنه مع ذلك معجز في تلك الأشكال نفسها، بشكل جعل كل من حاول تقليده يصاب بالإحباط، في حين إن عباقرة اللغة لم يجرؤوا حتى على المحاولة.

الجمع بين التعبير والصياغة الأدبية في القرآن الكريم

إن أسلوب القرآن يتميز بالوضوح والقوة والجمال الذي لا يمكن لبشر مجاراته، وفي الوقت نفسه يمتلك القرآن صياغة أدبية تتميز بقصرها وإطالتها وإيقاعها

الذي يعجز أي من البشر عن محاكاتها، فالقرآن الكريم يمزج المعاني بالبيان والبديع مع الصياغة الأدبية في تركيبة مدهشة.

ثم إنك تجد أسلوبه واضحاً قوياً جميلاً يؤدي المعاني بكيفية من التعبير تصور المعاني أدق تصوير. فتجده حين يكون المعنى رقيقاً يقول، ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً**﴾، من الألفاظ الرقيقة والجمل السلسة. وحين يكون المعنى جزلاً يقول تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِلطَّاغِينَ مَآباً * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً * إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً * جَزَاءً وِفَاقاً**﴾ من الألفاظ الفخمة والجمل الجزلة.

وقد صاحب تأدية المعاني بهذه الكيفية من التعبير التي تصور المعاني مراعاة للألفاظ ذات الجرس الذي يحرك النفس عند تصورها لهذه المعاني وإدراكها لها. ولذلك كانت تبعث في السامع المدرك لعمق هذه المعاني وبلاغة التعبير خشوعاً عظيماً حتى كاد بعض المفكرين العرب من البلغاء أن يسجدوا لها مع كفرهم وعنادهم.

الاهتمام الدقيق بالحروف والمخارج الصوتية في الكلمات والجمل:

ثم إن المدقق في ألفاظ القرآن وجمله يجد أنه يراعي عند وضع الحروف مع بعضها، الأصوات التي تحدث منها عند خروجها من مخارجها فيجعل الحروف المتقاربة المخارج متقاربة الوضع في الكلمة أو الجملة وإذا حصل تباعد بين مخارجها فصل بينها بحرف يزيل وحشة الانتقال. وفي الوقت نفسه يجعل حرفاً محبباً من مخرج خفيف على الأذن يتكرر كاللازمة في الموسيقى، فلا يقول (كالباعق المتدفق) وإنما يقول، ﴿**كَصَيِّبٍ**﴾، ولا يقول (الهُعْخع) وإنما يقول، ﴿**سُنْدُسٍ خُضْرٌ**﴾ محافظا بذلك على التقارب في المخارج بين الكلمات المحاذية لبعضها، فاستخدم القرآن تعبير "**سُنْدُسٍ خُضْرٌ**" بدلاً من "الهُعْخَع"، التي تحمل معنى مقارباً، لكنها لا تحافظ على تقارب المخارج.

وإذا لزم أن يستعمل الحروف المتباعدة وضعها في المعنى الذي يليق بها ولا يؤدي المعنى غيرها مثل كلمة ﴿**ضِيزَى**﴾، فإنه لا ينفع مكانها كلمة ظالمة ولا

جائرة مع أن المعنى واحد، مستخدما التعبير المناسب للمعنى مع الحفاظ على الإيقاع والدقة الصوتية.

ومع هذه الدقة في الاستعمال، فإن الحرف الذي يجعله لازمة يرد في الآيات واضحاً في التردد، فآية الكرسي مثلاً ترددت اللام فيها ثلاثاً وعشرين مرة بشكل محبب يؤثر على الأذن حتى ترهف للسماع وللاستزادة من هذا السماع. ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾، فقد تكرر حرف "اللام" في آية الكرسي ثلاثاً وعشرين مرة، ما خلق تكراراً لحنياً جميلاً يجذب السمع ويحث على الإنصات أكثر.

التحدي في العصر الحالي

إن القرآن الكريم بلا شك طراز فريد لا يمكن للبشرية أن تأتي بمثله، ومعجزة نزلت لتكون تحدياً يثبت رسالة النبي محمد ﷺ، لقد كان تأليف القرآن ورسمه وطرازه مهيباً للعرب على مدار ثلاثة وعشرين عاماً، عجزوا فيها عن مواجهة التحدي، فلجأوا إلى الافتراء، والتهديد، والحرب، والنفي، قال الإمام الباقلاني: "وقال غير هؤلاء وهؤلاء: لو نشاء لقلنا مثل هذا، ولكنهم لم يقولوا هم ولا غيرهم لأن تأليف القرآن البديع، ووصفه الغريب، ونظمه العجيب، قد أخذ عليهم منافذ البيان كلها وقطع أطماعهم في معارضته، فظلوا مقموعين مدحورين ثلاثة وعشرين عاما، يتجرعون مرارة الإخفاق، ويهطعون لقوارع التبكيت، وينغضون رؤوسهم تحت مقارع التحدي والتعيير، مع أنفتهم وعزتهم، واستكمال عدتهم وكثرة خطبائهم وشعرائهم، وشيوع البلاغة فيهم، والتهاب قلوبهم بنار عداوته، وترادف الحوافز إلى مناهضته، وعرفانهم أن معارضته بسورة واحدة أو آيات يسيرة أنقض لقوله، وأفعل في إطفاء أمره، وأنجع في تحطيم دعوته، وتفريق الناس عنه - من مناجزته، ونصبهم الحرب له، وإخطارهم بأرواحهم وأموالهم، وخروجهم عن أوطانهم وديارهم".

إن تحدي القرآن الكريم ليس مقتصراً على أولئك الذين وُجه إليهم مباشرة في زمن النبي محمد ﷺ في وقت الوحي، بل إنه تحدٍ دائم مستمر حتى يوم القيامة، فالقاعدة الشرعية تقول: "الْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ". لقد أربك القرآن الكريم نخبة العرب سابقاً، فهم رغم عدائهم الشديد لرسالة النبي محمد ﷺ لم يستطيعوا مواجهته، واليوم يربك القرآن الكريم الحكومات الغربية العدائية فتلجأ هذه الحكومات للتشهير والتهديد والحرب لقمع الرسالة، لأنها غير قادرة على مواجهة التحدي الذي يفضح حقيقتها.

المحتويات

الدين منهج حياة يضبط العلاقة بين الخالق والمخلوق

مجلة الوعي

إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة (الدين) ووجوه تصريفها، نجد[1] أنها تعود إلى ثلاثة معان، تكاد تكون متلازمة، وهناك تفاوتٌ يسيرٌ بين هذه المعاني الثلاثة، مَرَدُّهُ في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق: أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب:

بيانه: أن كلمة «الدِّين» تؤخذ تارة من فعل متعدٍّ بنفسه: «دانه يدينه» وتارة من فعل متعدٍّ باللام، «دان له» وتارة من فعل متعد بالباء: «دان به»، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية:

-1فقولنا «دانه دينًا» يعني: أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره وحاسبه، فالدِّين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف، بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسبة، ومن ذلك: **(مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ٤)** أي يوم المحاسبة والجزاء، وفي الحديث: **«الكيس من دان نفسه»**، أي حكمها وضبطها.

-2وإذا قلنا: «دان له» أردنا أنه أطاعه، وخضع له، فالدين هنا: هو الخضوع والطاعة والعبادة، وكلمة «الدين لله» يصح أن يراد منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله.

-3وإذا قلنا «دان بالشيء» كان معناه اتخذه دينًا ومذهبًا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به. فالدين على هذا هو المذهب أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظريًّا أو عمليًّا.

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية: إن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين، يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول: كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وصف بها الطرف الثاني: كانت أمرًا ونهيًا وسلطانًا وحكمًا وإلزامًا. وإذا نظر بها إلى الربط الجامع بين الطرفين، كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها. فالمادة تدور على معنى «لزوم الانقياد». فالدين في الاستعمال الأول: هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني: هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث: هو المبدأ الذي يلتزم الإنسان الانقياد له:»[2] وخلاصة ما سبق أننا أمام طرفين: أحدهما في غاية الرفعة والسمو

والسلطان. والثاني: في غاية التواضع والخضوع والذل للأول، والعلاقة والمنهج الذي يضبط علاقة الثاني بالأول هي ما نسميه: الدِّين[3]«

جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: **(إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ)** وحكى أهلُ اللغةِ: الدَّين المصدر، والدِّين بالكسر الإسم، والدِّينُ السياسةُ، والدَّيَّانُ السايس. وجاء في لسان العرب من معاني الدين: والدين تعني الشريعة والسلطان؛ ومنه قوله تعالى: **(وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ)**، إ.هـ.. وقال ابن علان الصديقي في دليل الفالحين: وفي «الكشاف» في قوله تعالى: (أَءِنَّا لَمَدِينُونَ) [الصافات: 53] أو معناه لمسوسون أي مربوبون، من الدين بمعنى السياسة، ومنه حديث «الكيِّس من دان نفسه[4]» إ.هـ.، فكما ترى، فإن العرب تفهم دين محمد صلى الله عليه وسلم على أنه نظام حياة وخضوع لله تعالى ولشرائعه، وسلطان لتلك الشرائع ومحاسبة على التزامها، ومسؤوليات، وواجبات، وحقوق، وأنها تحلُّ محل شرائعهم وعليهم أن ينقادوا لها، فمن الطبيعي إذًا أن نقول بأن طبيعة الدين أنه جاء نظام حياة ليضبط وينظم سلوك الأفراد بالتكليف، وليحكم المجتمع بمنهج خاص من عند الله تعالى!واقع التكليف، الأعمدة التي يقوم عليها النظام التشريعي الإسلامي، والتي تضمن شمول واكتمال الدين وسعة الشريعة، وحصر النذارة بالوحي، وحفظ السنة النبوية وتؤكد القطع بإجماع الصحابة:

يُبتنى التشريع الإسلامي على مفهوم: الحكم الشرعي، متكئًا على مفهوم التكليف، فالإنسان مكلف، وسيحاسب على التزامه بالتكليف في كل شأن من شؤونه، «والتكليف مأخوذ من الكلفة على وجه التفعيل، ومعناه الحمل على ما في فعله مشقة، ويندرج تحته الإيجاب والحظر، لا وفق ما يتشوَّف إليه الطبع، وما ينبو عنه.[5]«

وقبل أن نتساءل: أين يبدأ التكليف وأين يقف؟ سنقدم بمقدمة مهمة تبين واقع التكليف، وموقع التكليف في تنظيم حياة الإنسان والمجتمع والدولة. وسنركز الطرح حول فكرة:

أولًا: واقع التشريع (التكليف)،

ثانيًا: حفظ التشريع،

ثالثًا: سعة التشريع، وثباته، وقدرته على حل مشاكل الإنسان إلى يوم القيامة،

رابعًا: منهجية التعامل مع مصادره بشكل يضمن تحصيل الصلة بين الواقع وبين الحكم الشرعي الذي يضبط السلوك أو يتنزل على الواقع ليحكم فيه.

وإليك التفصيل:

أقام الله تعالى نظام الوجود على العدل ومنع الظلم، كما في الحديث القدسي عن أبي ذرٍ جندب بن جنادة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﷻ، رَبِّ العِزَّةِ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أنه قال: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا»**، فقد حرَّم الله الظلم على نفسه، وحرَّمه على العباد وأنزل الشرع، والمنهج الذي يضمن أن لا يدخل الجَوْرُ في ملكوت السموات والأرض، فجعلَ الإنسانَ خليفةً ليقيم النظام الذي يقيم العدل، ويمنع الجور، **(لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ)** [25: الحديد]، واستخلفَ الإنسانَ، وارتضى له أن يُصلحَ في الأرضِ ولا يُفسدَ فيها، ولم يترك تنظيمَ الحقوقِ وإقامةَ العدلِ ومنعَ الظلمِ وضبطَ السلوكِ الذي يفضي للإصلاح لا الإفساد، وفض الخصومات والنزاعات، دون تشريعٍ وتنظيمٍ يضبطهُ وينظمهُ، ويقيم الحجة على الخلائق، ويحاسبهم على أساسه، لم يتركه للبشر وأهوائهم وتسلط قويهم على ضعيفهم، وتخبُّطهم في معرفة التنظيم الصحيح الذي يصلح أحوالهم ويقيم نظامهم ويمنع فسادهم.!

وقد تساءلتِ الملائكةُ عن استخلاف اللهِ تعالى للإنسان في الأرض: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ)**،**(قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ)** خليفةً؟ فقال الحق تعالى مجيبًا: **(قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)**، وليس من معنى لأن يكون الخليفةُ كنايةً عن الانسان يفعل ما يشاء، فلو كان ذلك كذلك لتحقق معنى استنكارهم: **(قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ)**، أما وقد أجابهم رب العزة قائلًا: **(إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)** ففيه معنى أنه لم يجعله خليفة لسفك الدماء، والإفساد، ومن هذا نستثني من الاستخلاف من يتبع أي منهج يفضي للإفساد وسفك الدماء. وهذا حال كل منهج قام على تشريع الناس، وأهوائهم، مصداقًا لقوله تعالى: **(وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ)** [المؤمنون: 71]، **(ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨)** [الجاثية: 18]، فغير شريعة الله اتباع لأهواء المشرعين، ويفضي للإفساد في الأرض، وللظلم وللجور؛ لذلك فالخليفة المشار إليه هو الذي يقيم منهج الله الذي يضمن إحقاق الحق والعدل وفقًا لشرع الله، بتطبيق شريعته، هذا هو الذي استخلفه الله تعالى: المؤمنين يقيمون شريعته في كل شأن من شؤون حياتهم، ويبايعون خليفة يطبقها فيهم في علاقاتهم المجتمعية. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «هذه الآية أصلٌ في نَصْب إمامٍ وخليفة يُسْمَع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا

خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما رُوي عن الأصَمّ؛ حيث كان عن الشريعة أصَمَّ»، انتهى. وهذا من دقة علم الإمام القرطبي رضي الله عنه!، فقد جعلَ الإسلامُ السلطانَ للأمة تنيب عنها حاكمًا يحكمها بشرعة ربها، كما استقرَّ من الاستنباط من أصول نظام الحكم في الإسلام، فالخليفة المذكور: هم المؤمنون المتبعون لشرعة الله تعالى في ما أمرهم القيام به من أوامر في حياتهم، المقيمون لمنهجه فيهم، فإن قيام المنهج في الأفراد لا يقيمه في المجتمع، وإذا لم يقُم في المجتمع لم يتحقق احتكامهم إليه[6]، ولم يتحقق العدل؛ لذلك اقتضى الأمر قيام المنهج في الأفراد والمجتمع والدولة، وحيث إن جل هذه الأحكام تطبق من خلال الدولة، فالناس يبايعون عليها خليفة يقيمها فيهم، فكان جَعْلُ الخليفة الحاكم هو أيضًا معنى قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً)**، أي الذي به يتحقق معنى الاستخلاف تحقُّقًا يفضي للمقصد من ذلك الاستخلاف، وتحقيقًا لمعنى التشريف في الاستخلاف؛ مما تدل عليه الآية كما استنبطها القرطبي مصداقًا لقوله تعالى: **(ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ١٤)** [يونس: 14]،[7] أي أن تطبقوا أحكام الله، ومنهج الله فيما بينكم وعلى أنفسكم في كل شأن، والخلافة على الخصوص في الحكم، من قبل الحاكم بحكم بما أنزل الله؛ إذ إن هذا المنهج هو الذي يميز بين أن يكون المستخلَف في الأرض مفسدًا فيها، سافكًا للدماء، أو أن يكون خليفةً يعصمه ذلك المنهج عن ذلك الزلل. ولكي يسود المنهج لا بد من أن يسود من خلال دولة، لا مجرد أن يلتزم به أفراد في ظل مجتمع يطغى فيه غير ذلك المنهج! ولكي يتحقق أن يكون معنى الاستخلاف تشريف المُسْتَخْلَفِ، فلا تشريف لمن لم يُقِم منهج الله! لا تشريف لمن أفسد وسفك الدماء!

إذن؛ وبالضرورة يلزم أنه لا بد من وحي ومعجزة ورسالة وتشريع، وأن تكون الرسالة هي المرجع النهائي لتقرير ما يجب اعتقاده من غيبيات لا يقع الحس عليها أو على آثارها، وما يجب أن تنظَّمَ الحياةُ وفقَهُ من منهج عيش ليتحقق الاستخلافُ الصحيحُ للإنسان، ولتبين له فلسفةَ الوجودِ التي سيعيش وفقًا لها مطمئنًا، يسير على هدى، ولتكون هذه الشريعة امتدادًا للنظام الكوني القائم على العدل ومنع الظلم، القائمة على التوازن والتنظيم الدقيق، القائمة على النور والحق والهدى، النائية بنفسها عن الضلال والباطل والظلمات.وقد حصر الله تعالى حق التشريع به وحده[8]، واختص بِهِ ذاتَهُ العَلِيَّةَ، فأنزله كتابًا وسنةً أوحى بهما إلى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم، ومنع غيره منه (وهو ما اصطُلح عليه بمسمى الحاكمية([9]، قال تعالى: **(إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)** [الأنعام: 57- يوسف: 40- يوسف: 67]. وقال تعالى: **(وَمَا**

ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ) [الشورى: 10]. والحكم في اللغة هو المنع ومنه قيل للقضاء حكمٌ لأنه يمنع من غير المقضيّ؛ وعليه فلله وحده الحق في منع المحكومين من أن يتصرفوا إلا وفق شريعته[10]، فالتشريع يقيم معنى العبودية لله.!

وقد أَذِنَ اللهُ تعالى للرسولِ صلى الله عليه وسلم بالتعبيرِ عن الوحيِ الذي نزلَ عليهِ بلسانِهِ صلى الله عليه وسلم، لبيان المعاني التشريعية، كما قال تعالى: **(وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)**[النحل: 44]، أي أوتي صلى الله عليه وسلم حق صياغة المعاني التي تُوحى إليه تشريعًا، فما يُشرع في السنة التي أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بها شرعٌ كما التشريع الذي في القرآن سواء بسواء، ومصدرها الوحي، وما يصوغه معصوم بالوحي، وعليه من الوحي رَصَدٌ ليبلغ الدقة المتناهية في تبليغ مراد الله، وكان معصومًا لا ينطق إلا بالحق. فهذه ضمانات أن ألفاظ السنة صيغت تحت عناية الوحي لتؤدي المعاني التي أوحي له بها.

والعقل ليس بمشرع، قال تعالى: **(أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ)**[الشورى: 21]، وقال تعالى: **(وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)**

وتشريع الله هو الضامن لتحقيق العدلِ وإقامةِ ميزان القسط في الأرض، فإن خلت مسألة من تشريعٍ متصل بالوحي فإن هذا مُدخلٌ لوجود الظلم أو الخطأ في الحكم والمعالجة المستمدة من التشريع البشري في تلك المسألة؛ فلا بد أن تُحفَظ الشريعةُ بقرآنها وسنتها لإتمام النعمة بإقامة ميزان العدل والقسط على الخلائق إلى يوم الدين، وقد علمنا أن في السُّنَّةِ بيانٌ لمجمل القرآن، فالسُّنَّةُ مُبَيِّنَةٌ وَمُوَضِّحَةٌ وَشَارِحَةٌ للقرآن وملحقةٌ الفروعَ بأصولِها ومشرعةٌ أحكامًا جديدة ليس لها في القرآن أصول[11]، فلو فُقد بعضُ السُّنَّةِ لفُقِدَ شيء من التشريع[12]!

إن رب العالمين سبحانه أمرنا باتباع الشرع وحده، فقال عز من قائل: **(ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣)**[الأعراف: 3]، **(قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥)** [الأنبياء: 45]، **(وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ(** [الحشر: 7]، **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا٥٩)** [النساء: 59]، **(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ**

يَتَمَطَّىٰ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦) [سورة القيامة] **(إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ)** [[الأنعام: 57- يوسف: 40- يوسف: 67]]، **(وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠)**[الشورى: 10.]

، وقال: **(فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ)**، وقال: **(وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ)**، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **«كل أمرٍ ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ»**، فهذا يدل على أن الأصل هو اتباع الشرع والتقيّد به. إن الإنسان مُكَلَّفٌ، ومعنى التَّكْليف إلزام المُكَلَّفِ بما اقتضى الشرع فعله أو تركه أو استواء فعله وتركه، وفق شروط التَّكْليف، (فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢)[هود: 112] ولا حكم قبل ورود الشرع. يقول الشوكاني في إرشاد الفحول (ص6): «ولا خلاف في كون الحاكم هو الشرع؛ وذلك بعد البعثة وبلوغ الدعوة». ويقول الغزالي في المستصفى (ص40): «والمحكوم فيه هو فعل المكلّف، ولا حكم قبل ورود الشرع. والعقل معرِّف للحكم وليس بحاكم». وقال النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب، في كتاب الطهارة: «وَكُتُبِ الْمَذْهَبِ أَنَّ أَصْلَ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ عَلَى الْإِبَاحَةِ أَمْ التَّحْرِيمِ أَمْ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ؟ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ مَشْهُورَةٍ الصَّحِيحُ مِنْهَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي شَيْءٍ يَفْعَلُهُ بِتَحْرِيمٍ وَلَا حَرَجٍ، وَلَا نُسَمِّيهِ مُبَاحًا لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالتَّحْرِيمِ وَالْإِبَاحَةِ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ، فَكَيْفَ يَدَّعِي ذَلِكَ قَبْلَ الشَّرْعِ. وَمَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ سَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْأَحْكَامَ لَا تَثْبُتُ إلَّا بِالشَّرْعِ، وَأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُثْبِتُ شَيْئًا». وقال الشاطبي رحمه الله في الموافقات 200/4: «والأصل في الأعمال قبل ورود الشرائع سقوط التكليف؛ إذ لا حكم عليه قبل العلم بالحكم؛ إذ شرط التكليف عند الأصوليين العلم بالمكلف به»[13]. انتهى

ورب العالمين سبحانه يبين في غير موضع من القرآن أن وجودنا في الدنيا، وخلق الموت والحياة إنما هو ليبلونا أيُّنا أحسن عملًا؛ وحتى يكون العمل حسنًا لا بد فيه من إخلاص القصد لله، وأن يكون موافقًا للشرع، مستمَدًّا من الشرع؛ ولهذا كان أئمة السلف رحمهم الله يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: **(لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ)** [الملك: 2] «قال: أخلصه وأصوبه، فقيل: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة». ويتعذَّر

البلاء والاختبار إذا لم يتوفر دليل يستدل به العامل على عمله ليجعله حسنًا، مما يقتضي ضرورة حفظ الشرع الذي فيه دليل كل عمل تكليفي.

ومن مقتضيات التكليف أن الله تعالى وعد بالحساب على مثقال الذر من العمل، فقال تعالى: **(فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨)** [الزلزلة: 7-8]، وهذه الآية تقتضي أن يكون على مقدار الذر من العمل نذارة مرجعها الوحي، ليحاسب بناء عليها، وتقتضي أن يكون وصف مثقال الذر من العمل بالخير أو بالشر إلى الله تعالى، ويحاسب عليه! فحكم العقل المحض لا يسمى بالحكم الشرعي، ولا يعاقب الله تعالى على مخالفة رأي أو حكم فلان من الناس العقلي في مسألة تكليفية! وهذه الآيات واضحة قاطعة في شمول التكليف لتفصيل يبلغ مثقال الذر من العمل فما فوقه، (أي إنَّ التشريعَ شاملٌ واسعٌ يحوي أوامر ونواه تتعلق بكل مشاكل الإنسان إلى يوم الدين مما فيه تكليف)، وتقتضي أيضًا ضرورة حفظ أدلة الشرع وأماراته اللازمة لاستنباط أحكامه والعمل بناء عليها، فيرى العامل خير ما عمل أو شره.

والله تعالى لم يترك الناس سدى، أي من غير أمر ولا نهي ولا في مسألة واحدة مما سيحاسبهم عليه، قال تعالى: **(أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦)** [القيامة: 36]، فلو خلت أية مسألة من أمر أو نهي لثبت أن الإنسان تُرك سدى فيها، ولما أمكن محاسبته على فعلها بأي صورة من الصور؛ إذ لم يثبت لها وصف الخير أو الشر حين خلوّها عن أمر الوحي، فلا يصلح الحساب عليها، وهذا كله نقيض الآيات القطعية التي تثبت وجود الأمر والنهي في كل مسألة، ووجود الحساب على مثقال الذر من العمل، ووصف ذلك المثقال من الذر بالخير والشر بناء على مرجعيته للوحي، وقد أذن الوحي بقيام بعض الأوامر والنواهي على الظن في الثبوت أو الدلالة، وجعلها من الدين، فلا يخرجها عن وصف الدين تسرب الظن لثبوتها، فمثلًا لو اختلف مجتهدان، فاستنبط أحدهما من الأدلة الشرعية أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء، فإن حكمه شرعي، وهو من الدين، ولو استنبط الآخر من الأدلة الشرعية نفسها نقيض ذلك الحكم، أي أن اللمس ينقض الوضوء لكان حكمه شرعيًّا أيضًا، والأول يدين الله بما غلب على ظنه أنه حكم الشرع في المسألة كما يفعل الثاني، فكلاهما وجد أمرًا ونهيًا متعلقًا بالمسألة، ونصوصًا شرعية تحتمل الفهم بهذه الصورة أو بتلك، – هكذا أراد الشارع أن تكون نصوصه في بعض الأحكام الشرعية العملية حمالة أوجه، وقابلة للفهم بأكثر من صورة – فأعمل المجتهد عقله في فهم النصوص ودلالاتها، وتوصل إلى فهم يدين الله تعالى به، وسيحاسب على اتباعه ما وصل إليه اجتهاده[14] وقد سبق ونوَّهنا إلى

اهتمام الشارع الحكيم باتِّباع الإجراءات العملياتية في دراسة النصوص وفهمها، منعًا لتحكُّم الأهواء، وإقحام الرغبات في فهم النصوص، فإذا ما تجرَّد المجتهد من ذلك كله، وأعمل عقله في فهم النصوص بما تحتمله النصوص من معانٍ ودلالات، وفقًا لقواعد الأصول واللغة المنضبطة، فإنه يفتي بحكم شرعي، وهذه القدرة التي حوتها النصوص من الاشتمال على معاني كثيرة متعددة في ألفاظ قليلة، أفضت إلى سعة الفقه، وجعلت النصوص قادرة على استيعاب مشاكل الإنسان إلى يوم الدين .

روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».** رواه مسلم وقال النووي رحمه الله في شرحه: وفي الرواية الثانية: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**» قال أهل العربية: (الرد) هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتدٍّ به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئًا فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به. انتهى.

وبالتالي فالحكمُ المستندُ إلى العقلِ، المرسلُ عن الأدلةِ والأمارات الشرعية، المنْقطعُ عن الوحيِ، المنْبَتُّ عن الأصولِ، ردٌ لأنه إحداثٌ في أمرنا ما ليس منه، أي ليس مستنبطًا منه، والعمل بناء على هذه الفتيا، عملٌ ليس عليه أمرنا وبالتالي فهو ردٌ أي باطل.

ومن الثوابت القطعية أن الله لا يعذب حتى يبعث رسولًا، فيحاسب الناس على ما أنذرهم وَبَيَّنَ لهم ما عليهم أن يتَّقوه، (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١٥) [التوبة: 115]، (مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا١٥)[الإسراء: 15]، (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ) [الأنعام: 19]، (قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ٤٥) [الأنبياء: 45]، (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥) [النساء: 165]، فهذه الآيات تبين أن الوحي نزل نذيرًا، وأحكامه حجة على المنذَرين، فمن بلغته النذارةُ البينةُ قامت عليه الحجة، واستحق العقوبة على المخالفة، فمن ألغى أحكام الإسلام

واستبدل غيرها بها، أو من جعلها لزمان غير زمانه، فإنما يناقض أصلًا عظيمًا من الأصول التي قامت عليها الرسالةُ، ومن عدَّ الإسلامَ ناقصًا فقد ناقض قيام الحجة على الخلائق، ومن أدخل في التشريع شيئًا أساسه العقل ناقض هذه الآيات التي حصرت النذارة بالوحي، وبينت شمول الوحي لبيان ما على المكلَّفين اتِّقاءه، وعلى أساسها أقيمت الحجة وترتب الحساب والثواب والعقاب .

النذارة لا تكون إلا بالوحي، حصرًا، وتوكيدًا، والنهي قطعي عن اتِّباع ما شُرع من دونه، فاقتضى حفظ الوحي لتقوم النذارة التي تقوم بها الحجة على الخلائق، وليقطع الطريق على شرائع الغير، وليمكّن عباده من أن لا يتَّبعوا من دون الوحي أولياء: ﴿**ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ**﴾ [الأنعام: 106]، **(ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ٣)** [الأعراف: 3]، **(قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ٤٥)** [الأنبياء: 45]، والوحي هو الكتاب والسنة. والوحيُ حجةٌ تامةٌ، ونذارةٌ شاملةٌ، أَمَا وقدِ انقطعَ الوحيُ، فلا نبيَّ ولا رسولَ بعد محمدٍ صلى الله عليه وسلم يُوحى إليهِ بشأنِ أيّ تشريعٍ يستجدُّ أو «يُفْقَدُ -زعموا-»، قال تعالى: **(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ)** [الأحزاب: 40]، فدلَّ ذلكَ على ضرورةِ بقاءِ الحجةِ التامةِ الكاملةِ على المخاطبينَ بدينِ الإسلامِ -عقيدةً وشريعةً- إلى أن تقومَ الساعةُ، ووصولها إليهم -بالضرورةِ- بيِّنَةً واضِحَةً، محفوظَةً، غير منقوصةٍ لا كتابًا ولا سنةً! فكان نظام الإسلام بعقيدته وشريعته تامًا، ولم تخلُ أي مسألة من تشريعٍ متصل بالوحي حتى لا يبقى أي مدخل لتشريع بشري يكون مصدرًا لوجود الظلم في تلك المسألة، الأمر الذي يستوجب أن تُحفظ الشريعة بقرآنها وسنَّتها لإتمام النعمة بإقامة ميزان العدل والقسط على الخلق إلى يوم الدين.

قال الإمام ابن حزم الأندلسي: «**(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ)**، [المائدة: 3]، قال: فنقول لمن جوَّز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شريعة الإسلام لنا غير محفوظ، وأنه يجوز فيه التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطًا لا يتميز أبدًا: أخبرونا عن إكمال الله -عز وجل- لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا دينًا، ومنعه تعالى من قبول كل دين حاشى الإسلام. أكل ذلك باق علينا ولنا إلى يوم القيامة؟ أم إنما كان للصحابة – رضي الله عنهم – فقط؟ أم لا للصحابة ولا لنا؟ ولا بد من أحد هذه الوجوه ... فإذا كانت الإجابة بالضرورة: كل ذلك باق لنا وعلينا إلى يوم القيامة، صحَّ أن شرائع الإسلام كلها كاملة، والنعمة بذلك علينا تامة، وهذا برهان ضروري وقاطع على أن

كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين، وفي بيان ما يلزمنا محفوظٌ لا يختلط به أبدًا ما لم يكن منه»[15] انتهى.

ولمّا كان الله تعالى قد نصَّ في سورة الأعراف الآية الثالثة على حصر الاتِّباع بما أنزل الله، وقال الله تعالى في القرآن الكريم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: **(إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ)** [الأحقاف: 9]، وقال تعالى: **(وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ)** [الأحزاب: 2]، وحصر الله تعالى النذارة بالوحي وأكد على ذلك بقوله: **(قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۖ)** [الأنبياء: 45]، أي إن النذارة والاتِّباع في القول والعمل لا يكون إلا عن وحي، حصرًا وتوكيدًا.

وأَمَرَ باتباعِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فإن هذا دليلٌ على أنَّ أمرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ونهيَهُ مما أنزلَ اللهُ، أي إنه من الوحي، قال تعالى: **(ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ٣)**[الأعراف: 3]، فموقع قوله **ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم)** موقع الفَصل الجامع من الحد، وموقع **(وَلَا تَتَّبِعُواْ)** موقع الفصل المانع في الحَدّ، والأمر باتباع النبي الأمي صلى الله عليه وسلمدليل على دخوله في الحد، أي دليل على أن قوله وفعله وأمره ونهيه من التنزيل، أي من الوحي.

والدين نفسه كامل، فيه تبيان كل شيء، فقد أكمَلَ اللهُ الدينَ، وأتمَّ به النعمةَ على المسلمين، وأيأسَ منه الكافرينَ، **(ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ)**، [المائدة: 3]، وحين رضي الله لنا الإسلام دينًا، فإنه وعدَ -ووعدهُ حقٌّ- بأنه لن يقبل من أحد دينًا غير الإسلام، وأنه في الآخرة من الخاسرين، قال تعالى: **(وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥)** [آل عمران: 85]، مما يدل على أن الله تعالى لن يقبلَ من بشرٍ دينًا (عقيدة وشريعة أي نظام حياة) إلا الإسلام.

وأكملَ التشريعَ فلم يترك ما يعادلُ مثقالَ ذرةٍ من عملِ الإنسانِ إلا وجعلَ فيها حُكمًا يبيّنُ الخيرَ من الشرِّ تكليفًا ملزمًا للاتِّباع، قال تعالى: **(أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦)** **أي بلا أمر ولا نهي في أيّ شأنٍ من شؤونهِ، وقال تعالى: (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨)** [الزلزلة: 7-8]، فلا بُدَّ إذًا من بيانٍ من الوحي يبينُ الخيرَ من الشَّرِّ في أيِّ عملٍ حتى يتمَ الحسابُ بناءً عليهِ،

)وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ) [النحل: 89]، (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) [الشورى: 10]، وقال: (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ) [النساء: 59]، والدين نفسه ثابت النسبة للوحي من خلال الأدلة، فكون الله تعالى يأمرنا برد أي نزاع إلى الله ورسوله، أي إلى الكتاب والسنة، فلا بد من حكم له في الكتاب والسنة، وكون الله تعالى يحصر حق التشريع به وحده، فما كان من اختلاف في شيء فحكمه إلى الله تعالى، فلا بد من أن يكون قد بين لنا حكمه في الكتاب والسنة!

وقد جاءت هذه الألفاظ بصيغ العموم، (وَمَا)، (مِن شَيۡءٖ)، (لِّكُلِّ شَيۡءٖ)، (فِي شَيۡءٖ)، وكلها تفيد العموم، أي تعم كل نازلة بحكم يحدد الموقف منها.

ولا يمكن شرعًا أن يوجد فعل للعبد ليس له دليل، أو أمارة تدل على حكمه؛ لعموم قوله: (تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ) وللنص الصريح بأن الله قد أكمل هذا الدين. فإذا زُعم أن بعض الوقائع خالية من الحكم الشرعي، على معنى أن هناك بعض الأفعال من أفعال العباد قد أهملته الشريعة إهمالًا مطلقًا، بحيث لم تنصب دليلًا، أو تضع أمارة تنبه بها المكلف على مقصدها فيه، فإذا زعم ذلك، فإنه يعني أن هناك شيئًا لم يُبَيِّنْهُ الكتاب، وأن هذا الدين لم يكمله الله تعالى، بدليل وجود فعل لم يذكر حكمه[16]، فهو دين ناقص، وهذا معارض لنص القرآن؛ ولذلك يكون زعمًا باطلًا[17]، ومن مقتضيات صدق هذه الآيات حفظ القرآن والسنة بما فيهما من أدلة على التشريع بصورة تجعل المجتهد قادرًا على الوصول لحكم شرعي فيها مستنبط من الوحي بما يغلب على ظنه أنه حكم الشارع، وعدم الحفظ يقتضي فقدان البيان أو التبيين!

إنه مما لا شك فيه أن الله تعالى أنزل الكتاب والسنة ليتحاكم إليهما الناس في كل شأن من شؤونهم، ويردُّوا اختلافهم إليه، ويقضي بينهم في كل نازلة وخصومة، وبناء عليه يتم حسابهم في الدنيا والآخرة، وعلى أساسه يتميز التزامهم بأحكام الإسلام وتفاضلهم في درجاته، فيؤجرون أو يأثمون، فلئن اختفت تلك الأحكام قبل أن تصل إليك في العصر الحالي، فهل لها من معنى؟ وهل يمكن محاسبتك على عدم التزامها؟ ألا يعني فقدانها إدخال الجور من حيث أريد إقامة العدل؟ ألا يعني إقامة الحجة على أناس وصلتهم دون أناس فقدوها ولم تصلهم؟ ألا يعني أن شؤون من لم تصلهم لن تكون مرعية بالشرع وأحكامه! ألا يعني ذلك أن من لم تصلهم لن يفهموا مراد الشارع، ولا تتحقق الغاية التي أرسلت بها الشرائع بذلك الفقد والضياع؟ ألا يترتب على ذلك أن أحكامًا مجملة مما نزل به

الشرع فقدت ما يفصلها ويبينها من السنة فأضحت طلاسم غير قابلة للفهم، منفصلة عن الواقع غير قابلة للتطبيق؟ فيفقد القرآن بذلك وصفه بيانًا وتبيانًا لكل شيء! لذلك فلا بد أن تكون السنة محفوظة كما هو القرآن محفوظ، لتتم بهما معًا نعمة الله على الخلق بالإسلام الذي يرتضيه الله تعالى، وبهما معًا يتمكن الدين حين الاستخلاف على الوجه الذي يرضاه الله تعالى للأمة المستخلفة!

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «قلت: والفرض علينا وعلى من هو من قبلنا ومن بعدنا واحد؟ قال: نعم، قلت: فإن كان ذلك علينا فرضًا في اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنحيط به إذا فَرَضَ علينا شيئًا: فقد دلنا على الأمر الذي يؤخذ به فرضه؟ قال: نعم، قلت: فهل تجد السبيل إلى تأدية فرض الله عز وجل في اتباع أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد قبلك أو بعدك ممن لم يشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وإن في أن لا آخذ ذلك إلا بالخبر، لما دلني على أن الله أوجب عليّ أن أقبل عن رسول اللهصلى الله عليه وسلم[18]»

ولقد أنزل الله تعالى دين الإسلام للناس كافة[19]، ولم يقصر الرسالة على من عاش في عصر النبوة، فما نزل به الوحي من اعتقادٍ وتشريعٍ وقصصٍ وخطابٍ فإنه يَعُمُّ بخطابهِ الناسَ كافّةً، وهو مُوجَّهٌ إلى البشريةِ كلّها منذ بعثة الرسولِ صلى الله عليه وسلم إلى يومِ الدِّينِ، قال الله تعالى: **(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ٢٨)**[سبأ: 28]، وقال عز من قائل: **(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ١٥٨)** [الأعراف: 158][20]، وهذا خطابٌ موجهٌ لكلِّ الناس بقوله تعالى (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ)، فكلُّ من يُطلق عليهم مسمى ناسٌ مذ نزل هذا الخطاب الشامل إلى يوم القيامة فالنبيُّ الرسولُ صلى الله عليه وسلم مرسلٌ إليهم، وأكد هذا العموم بقوله (إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم)، واستعمل لفظ (إنِّ)لتأكيد الخبر، باعتبارِ أنَّ في جملة المخاطبين منكِرينَ ومتردِّدينَ، وتأكيد ضمير المخاطبين بوصف (جَمِيعًا) الدال نصًّا على العموم، لرفع احتمال تخصيص رسالته ببشرٍ دون بشرٍ، أو بعصرٍ دون عصرٍ، واستقصاءً في إبلاغِ الدعوةِ إليهم.

قيام الحجة على الناس، فلا عذر للناس على الله بعد الرسل، وهذا يقتضي أن الحجة قائمة إلى يوم الدين، **(رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ**

ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا١٦٥) [النساء: 165]، فإن ضاع شيء من الدين خلا من حجة في تلك الجزئيات، وهو ما يتنافى مع قيام الحجة، وإمكانية المحاسبة عليه.

ط- ضياع شيء من السنة يقتضي ضياع كونه بيانًا على شيء من الدين الذي نزل في القرآن، وهذا يعني أن القرآن لم يعد مُبِيْنًا (فقد جعل القرآن السنة بيانًا)، **(قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ٥٤)**، [النور: 54]، وكلمة المبين وصف مفهِمٌ؛ ولذلك تكون قيدًا للتبليغ، فالبلاغ لا يكون مبينًا، ولا تكتمل أسباب الهداية بفقدان البيان والاقتصار على المبيَّن أو المجمل الذي في القرآن، في جزئيات فقدت، فلا تقوم في تلك الجزئيات الحجة بالاقتصار على المجمل الذي في القرآن!

وهذا يعني أن الدين محفوظ من الضياع ومنه الدليل على أن السنة محفوظة من الضياع، نقلت لنا كلها، لأن بها بيان القرآن، وتَفصيلُ مُجْمَلِهِ، وتقييد مطلقه، وشرح ألفاظه، وتوضيح أحكامه ومعانيه، وبها اكتمل الدين، ومهمتنا أن ننقي صحيحها من ضعيفها؛ حيث إن معظم الأحكام الشرعية أخذت من السنة، باعتبار أن السُّنَّة مبينة وموضحة وشارحة للقران وملحقة الفروع بأصولها ومشرعة أحكامًا جديدة ليس لها في القران أصول، وبها تم الدين واكتملت النعمة، وارتضى الله لنا الإسلام دينًا بما فيها وما في القرآن من أحكام، قال الحق سبحانه وتعالى: **(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**، وقال: **(وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ٦٤)**مع وجود أصول دقيقة لبلوغ الحكم الشرعي أذنت بوجود طريق تحصيل غلبة الظن في بلوغ الأحكام الشرعية، وبالتالي أذنت بوجود الظن في آحاد الأدلة التي أتت من السنة في ثبوتها أو دلالتها، تمامًا كما أذنت بظنية بعض الآيات القرآنية في دلالتها، وبالتالي فالدين بمجمله، وفق أصول الفقه، يحقق وعد الله تعالى بوجود أوامر ونواه متعلقة بكل فعل من الأفعال، وكل مسألة من المسائل، وكل نازلة، ويحقق إمكانية الحساب على مثقال الذر، وإطلاق الخير أو الشر عليه، فمن نقل لنا هذا الدين يجب أن يكون إجماعه مقطوعًا به، وإلا تحصل الشك في ثبوت الدين، وثبوت اكتمال الدين، وثبوت شمول الدين لكل صغيرة وكبيرة، ولما وصل إلينا الأمر والنهي ولما تحقق إمكانية الحساب، فمن بهم ثبت الدين ونقلوه لنا كاملًا يحصل القطع بأن إجماعهم مقطوع بصدقه.

وقد فصلنا في بيان حفظ السنة من خلال دقة مناهج علوم الحديث وتفاصيلها في كتابنا: (البرهان المبين على أن السنة وحي، وأنها محفوظة، وأنها حجة، وأصل من أصول الدين).إذًا، يقتضي التكليف أن نفهم العملية التي يتم بها إنزال الأحكام الشرعية على الوقائع؛ لكي تعطي لكل واقعة حكمًا شرعيًّا يضبط سلوك الإنسان في الحياة، معالجًا لأفعال المكلفين، ولأحكام علاقات البشر بعضهم مع بعض، ومبينًا أحكام أنظمة الدولة والحياة والمجتمع.

المصادر

[1]تعريف الدِّين في كتاب: «رضيت بالإسلام دينًا» للشيخ صالح الشامي، ناقلًا مختصرًا عن العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه: «الدين.«

[2] رضيت بالإسلام دينًا، ص 15 – 17 الشيخ صالح أحمد الشامي، عن «الدين» للدكتور محمد عبد الله دراز ص 30- 52 باختصار كبير

[3] رضيت بالإسلام دينًا، ص 15 – 17 الشيخ صالح أحمد الشامي

[4] قال بعض المفسرين أن معناها حاسب نفسه، إلا أن المعنى الأدق يتعدَّى إلى سياسة نفسه كي لا يقع فيما يحاسب عليه، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم فسره بما بعده بقوله: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من يُتبع نفسه هواها ويتمنى على الله عز وجل»، فالفاجر يُتبع نفسه هواها، والكيس يسوس نفسه وفق أحكام الله ويمنعها هواها. قال الأزهري في تهذيب اللغة: قال أبو عبيد: قوله: دَانَ نَفْسَه أي أَذَلَّها واستعبدها... والدِّين لِلَّهِ من هذا إنما هو طاعتُه والتَّعَبُّدُ له. وقد قيل في قوله: الكَيِّسُ من دَان نَفْسَه أي حاسَبها. إ.هـ.

[5] المنخول من تعليقات الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي، ص 21.

[6] حجر الزاوية في هوية المجتمع هو الكيفية التي تُسيّر بموجبها العلاقات، والنظم التي تضبط هذه العلاقات، فالعلاقات الربوية نتاج تطبيق نظام رأسمالي مثلًا، لا يمكن أن تتغير في المجتمع طالما بقي المجتمع رأسماليًا، ولا أثر لامتناع ملايين الناس من المسلمين في المجتمعات الغربية أو حتى البلاد الإسلامية التي يتفشَّى فيها نظام الربا عن الربا في تغيير النظام الاقتصادي الرأسمالي فيه، بل إنهم ولا شك ستدخل أموالهم البنوك، وتستثمرها البنوك بشكل قانونيفيما يراه البنك، وتختلط أموال المسلمين بالربا وبتجارة الخمور،

والاستثمارات التي تستثمرها البنوك في النوادي الليلية، شاء المسلمون في الغرب أم أبوا، بل وفوق ذلك، فإنهم سيخضعون لقوانين الدولة من تأمين إلزامي، وضرائب، ونظم محرمة في الإسلام وغير ذلك، فالعبرة إذن في العلاقات والأنظمة لا في معتقدات الأفراد.

[7] وقوله تعالى:]وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ١٦٥[[الأنعام: 165]،وقولهتعالى:]هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ[[فاطر:39.[

[8] حق التشريع لله وحده قطعًا وحصرًا؛]إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ[[الأنعام: 57- يوسف: 40- يوسف: 67] راجع دقة الطرح في فصل: المفصل الثاني: الله تعالى هو الدَّيَّان: حق التشريع لله وحده قطعًا وحصرًا.

[9] الحاكمية من خصائص الربوبية باختصاص الله بالتشريع، ومن خصائص الألوهية بإفراده تعالى بالعبودية والتقديس بالتزام ما شَرَعَ وعدم اتخاذ غيره أربابًا يَشرَعونَ من الدينِ ما لم يأذنْ به اللهُ، أو يغيروا أحكامه،]إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ[[يوسف:40]، جمع في هذه الآية بين حق الطاعة وحق العبادة، فحق على العباد أن يطيعوا الله فيما أمر، وأن يعبدوه، فالربوبية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية. ومن يحكم بغير ما أنزل الله فإنه يرفض ربوبية الله وخصائصها في جانب، ويدّعي لنفسه هو حق الربوبية وخصائصها في جانب آخر.

[10]من هنا فإن تشريع العبيد بعضهم لبعض فيه اتخاذ بعضهم أربابًا من دون الله

[11] **وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ**[[النحل: 89] وفي القرآن تبيان بهدى (ذكر) يأتي به الرسول صلى الله عليه و سلم تجب طاعته والعمل به، فهذا من هذا، فالتبيان يحصل بالسنة أيضًا وأصلها مقرر في القرآن:]**وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ**.]

[12] استفضنا في التدليل على حجية السنة، وأنها وحيٌ محفوظ، في كتابنا: (البرهان المبين على أن السنة وحي، وأنها محفوظة، وأنها حجة، وأصل من أصول الدين).

[13] يقول الإمام النبهاني رحمه الله في الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث: (أصول الفقه): وكذلك لا يقال إن الأصل في الأفعال والأشياء الإباحة بحجة أنها انتفاع خالٍ من أمارة المفسدة ومضرّة المالك فتُباح، لا يقال ذلك لأن مفهوم الآية أن الإنسان مقيَّد بما جاء به الرسول لأنه يعذب على مخالفته، فصار الأصل اتباع الرسول والتقيّد بأحكام رسالته، وليس الأصل الإباحة أي عدم التقيّد، ولأن عموم آيات الأحكام تدل على وجوب الرجوع إلى الشرع ووجوب التقيّد به، قال تعالى:]**وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ**[، وقال:]**فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ**[، وقال:]**وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ**[، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**كل أمرٍ ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ**»، فهذا يدل على أن الأصل هو اتباع الشرع والتقيّد به... وأيضًا فإنه بعد ورود الشرع صار للأشياء وللأفعال أحكام، فالأصل أن يُبحث في الشريعة عن الأشياء والأفعال هل يوجد لها أحكام أم لا، لا أن يكون الأصل اعتبارها مباحة ووضع حكم الإباحة لها من العقل مباشرةمع وجود الشرع. وكذلك لا يقال إن الأصل في الأشياء التوقف وعدم الحكم. لأن التوقف يعني تعطيل العمل أو تعطيل الحكم الشرعي، وهو لا يجوز، ولأن الثابت في القرآن والحديث عند عدم العلم، السؤال عن الحكم، وليس التوقف وعدم الحكم، قال تعالى:]**فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ**[، ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث التيمّم: «**ألاسألوا إذا لم يعلموا، فإنّما شفاء العيّ السؤال**»،

فدل على أنه ليس الأصل التوقف وعدم الحكم. وعليه فإنه بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم صار الحكم للشرع وأضحى لا حكم قبل ورود الشرع، فيُتوقف الحكم على ورود الشرع، أي على وجود دليل شرعي للمسألة الواحدة، ولذلك لا يعطى حكم إلاّ عن دليل، كما لا يعطى حكم إلاّ بعد ورود الشرع. والأصل أن يُبحث عن الحكم في الشرع، أي الأصل أن يُبحث عن الدليل الشرعي للحكم، من الشرع .... هذا بالنسبة للأفعال، أمّا بالنسبة للأشياء وهي متعلقات الأفعال، فإن الأصل فيها الإباحة ما لم يَرِد دليل التحريم،

فالأصل في الشيء أن يكون مباحًا ولا يحرم إلاّ إذا ورد دليل شرعي على تحريمه؛ وذلك لأن النصوص الشرعية قد أباحت جميع الأشياء، وجاءت هذه النصوص عامة تشمل كل شيء، قال تعالى:]**أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ**[، ومعنى تسخير الله للإنسان جميع ما في الأرض هو إباحته لكل ما في الأرض، وقال تعالى:]**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا**[، وقال:]**۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ**[، وقال:]**هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ**[. وهكذا جميع الآيات التي

جاءت في إباحة الأشياء جاءت عامة، فعمومها دل على إباحة جميع الأشياء، فتكون إباحة جميع الأشياء جاءت بخطاب الشارع العام، فدليل إباحتها النصوص الشرعية التي جاءت بإباحة كل شيء. فإذا حرم شيء فلا بد من نص مخصص لهذا العموم يدل على استثناء هذا الشيء من عموم الإباحة. ومن هنا كان الأصل في الأشياء الإباحة؛ ولذلك نجد الشرع حين حرّم الأشياء قد نصّ على هذه الأشياء بعينها استثناء من عموم النص، فقال تعالى:]**حُرِّمت عليكم المَيْتَة والدم ولحم الخنزير**[، وقال صلى الله عليه وسلم: **«حُرِّمت الخمرة لعينها»**، فيكون ما نص عليه الشرع من تحريم أشياء، هو مستثنى من عموم النص، فهو على خلاف الأصل. والأصل إباحة جميع الأشياء. انتهى؛ وعليه فلا حكم قبل ورود الشرع، وأي حكم صادر عن العقل في مسائل الشرع خال من الدليل رد.

[14]أنظر فصل: إثبات أن الأحكام الشرعية العملية يجوز أن تبنى على الظن، في كتابنا: (البرهان المبين على أن السنة وحي، وأنها محفوظة، وأنها حجة، وأصل من أصول الدين).

[15] الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي 1/122-123)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م

[16] أنظر فصل: لا يوجد فراغ تشريعي،]ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.]

[17] أنظر الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث: (أصول الفقه) لتقي الدين النبهاني.

[18] الأم ج 7 ص 251، أو جماع العلم للشافعي ص 21-22، حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي. طبعة 1995، ص 262-263.

[19] قال الإمام ابن حزم في كتاب الإحكام ج 1 ص 97: عن المراد بالرد في قوله تعالى:]يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩[[النساء: 59]: "والبرهان على أن المراد بهذا الرد: إنما هو إلى القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، أن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يُخلَقُ وتُركَّب روحه في جسده إلى يوم القيامة، من الجنة والناس كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا، ولا فرق"

حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي. طبعة 1995، ص 263.

[20] تفسير الآلوسي، الرازي، ابن عاشور، خواطر الشعراوي. وقال الدكتور فاضل السامرائي: «إنما جيء بهذه الصفات لتذكير اليهود ووعظهم حيث جحدوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وزعموا أن لا رسول بعد موسى، واستعظموا دعوة محمد، وكانوا يعتقدون أن موسى لا يشبهه رسول، فذكرهم الله بأنه هو وحده مالك السماوات والأرض، وهو واهب الفضائل، فلا يستعظم أن يرسل رسولًا ثم يرسل آخر، فالمُلك بيده. وفي ذكر الإحياء والإماتة تذكيرٌ لهم بأن الله يحيي شريعة ويحيي أخرى، فلا تعجب إذًا من ذكر هذه الصفات في هذا الموضع لأن القصة أعظم»

المحتويات

الأمة الإسلامية في مرحلة ما بعد الحداثة

خليل مصعب – ولاية باكستان

تزامن ظهور ما بعد الحداثة مع الأزمات الثقافية والسياسية في ستينات وسبعينات القرن الماضي. وقد شكّلت خيبة الأمل من إخفاقات الحداثة - التي تجلّت في حربين عالميتين، وصعود الفاشية، والعنف الاستعماري (على شكل حربي الجزائر وفيتنام)، والتفاوت الطبقي – شكلت دافعاً لنقد ما بعد الحداثة. وتحدّت شخصيات مثل ميشيل فوكو وجاك دريدا ادعاءات الحداثة بالتقدم الخطي، وسلطة العقل، وركّزت بدلاً من ذلك على نسبية الحقيقة والموضوعية.

نشأت ما بعد الحداثة كوسيلة لتحدي ادعاءات الغرب العالمية، ولكن في السنوات الأخيرة، استغلتها بعض المدارس الفكرية لتقويض الجماعات السياسية الإسلامية. ومن خلال التأكيد على الطبيعة المصطنعة و"المُخترعة" للهويات والتقاليد، استُخدمت ما بعد الحداثة لنزع الشرعية عن الإسلام وممارساته.

في كتابه "استذكار الخلافة"، يشير سلمان سيد إلى أن أحد التكتيكات الشائعة في مرحلة ما بعد الحداثة كان تقديم الإسلاموية (المستخدمة هنا كإشارة إلى الجانب السياسي للإسلام) باعتبارها اختراعاً غير أصيل، وليس استمراراً مشروعاً للتقاليد الإسلامية: (تُقدَّم الإسلاموية على أنها خطابٌ مُستلهمٌ من وهمٍ لجوهرٍ أصيل (العظمة، ١٩٩٣: ٧). أي أن ما يدّعيه الإسلاميون أنه اكتشافهم للإسلام الحقيقي ليس سوى اختلاقٍ لتقاليد إسلامية تُنكر تنوعها. ووفقاً لهذا النهج الجدلي، فإن الأشكال الثقافية، مثل "الزي الإسلامي" أو "أسلوب الحياة الإسلامي"، هي اختراعاتٌ حديثة وليست استعادةً للتقاليد الدينية (١٩٩٣: ٢١). ويهدف هذا النوع من الحجج إلى تشويه مزاعم الإسلاميين باعتبارها تعبيراتٍ مشروعة عن رغبةٍ إسلاميةٍ في الاستقلال وإنهاء الاستعمار بشكلٍ عميقٍ في العالم).

كان هذا التسليح للفكر ما بعد الحداثي رد فعل على فشل الإسلام في اتباع مسار علماني. يكتب سلمان سيد: (حتى أواخر الربع الأخير من القرن العشرين، كان هناك توقعٌ راسخٌ بأن الإسلام سيتلاشى مع التقدم العالمي للتغريب وما أعقبه من علمنة وتحديث. لم يفشل الإسلام فحسب في اتباع المسار الذي سلكته أشكالٌ مختلفة من المسيحية - أي الانحصار في المجال الخاص والتخلي عن التسييس - بل أعاد، في المقابل، تأكيد حضوره العلني بقوة في العالم. وقد طرحت التحركات باسم الإسلام سلسلةً من التحديات للنظام العالمي الحالي، اتخذت شكل خلافات جيوسياسية وثقافية وفلسفية).

هذا التكتيك ما بعد الحداثي المتمثل في وصف الإسلام السياسي بأنه "تقليد مُفتعل" يمتد إلى أبعد من ذلك ليشمل التشكيك في شرعية مصطلح الإسلام نفسه، وكذلك في مفاهيم مرتبطة بالدين الإسلامي، مثل مفهوم الأمة. فباستخدام "ميتافيزيقا الشك" كما يسميها سلمان سيد، تزعم نصوص ما بعد الحداثة أن الإسلام شديد التنوع والتجزئة، ما يحول دون الحفاظ على تماسكه. علاوة على ذلك، فإن الانقسامات الجغرافية والثقافية والسياسية بين المسلمين تُفقد مصطلح الأمة أي أساس له كدلالة على مجتمع إسلامي مشترك.

من المهم فهم الأجندة التي تخدمها هذه الحجج. في كتابه "الإسلام والليبرالية والأنطولوجيا"، يُفصّل البروفيسور جوزيف ج. كامينسكي التداعيات السياسية لمثل هذه النصوص ما بعد الحداثية بقوله: (إن تصوير الإسلام كفئة غير متماسكة يُخضع معناه في نهاية المطاف لأهواء جهات عدائية مهيمنة وقوة غاشمة. إذا لم يكن لدى المسلمين مرجع نصي/لاهوتي موحد يعتمدون عليه، فلا شك أن شخصاً آخر سيسد هذه الفجوة نيابةً عنهم. في ظل توصيفات للإسلام مثل توصيف الدين، لا يوجد سبب يجعل المسلمين وحدهم يتمتعون بامتياز تعريف ماهية الإسلام. إن مقاربات مثل توصيف الدين تنزع في النهاية عن المسلمين سلطتهم - فهم يُسلبون قدرتهم على التحكم في كيفية تعريف خطابهم الديني. إن سيطرة جهات خارجة عن هذا التقليد الخطابي على المصطلحات والمعاني التي تُشكله - وخاصةً عندما تكون تلك المصطلحات والمعاني من النوع الذي يعترض عليه من هم داخله - هي إمبريالية بامتياز).

بتفسير الإسلام على أنه غامض، تستطيع الجهات المهيمنة، كالحكومات الغربية والأكاديميين العلمانيين، فرض تفسيراتها الخاصة. ويمكن تصنيف المسلمين ظاهرياً على أنهم "متطرفون" و"معتدلون"، وفرض الممارسات الإسلامية المقبولة لديهم.

علاوة على ذلك، فإن نقد ما بعد الحداثة، بتصويره الأمة كمجرد مفهوم خطابي بدلاً من كونها مجتمعاً حقيقياً ملزماً، يُقوّض التضامن الجماعي الإسلامي. وبحرمان المسلمين من القدرة على استحضار الأمة كمفهوم مشروع، يُترك المسلمون متشرذمين إلى جماعات وطنية أو طائفية معزولة، ما يُضعف قدرتهم على تحدي القوى الغربية المهيمنة وصياغة رؤية سياسية موحدة مثل رؤية الخلافة.

ينبغي أن يكون رد المسلمين، بالطبع، حرمان الآخرين من القدرة على تعريف دينهم لهم من خلال إعادة الانخراط في تقاليدهم. في بحثه "فكرة أنثروبولوجيا الإسلام"، يتناول البروفيسور طلال أسد تشكك الأوساط الأكاديمية الغربية في مصطلح الإسلام مُشيراً إلى

أنه من أجل الكتابة عن الإسلام: "... ينبغي أن نبدأ، كما يفعل المسلمون، من مفهوم التقليد الخطابي الذي يشمل النصوص المؤسسة للقرآن والحديث ويرتبط بها".

والإسلام بالطبع هو الدين الذي اختاره لنا الله سبحانه وتعالى وأكمله بالرسالة الخاتمة للنبي محمد ﷺ. قال الله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.**

والذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ أولئك هم المسلمون وهم أمة واحدة. قال الله سبحانه: **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** وقال ﷺ: **«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ»** (رواه البيهقي في السنن الكبرى)

ومع إدراك حقيقة الإسلام، ووجود أمة واحدة، فإن المسلمين يستطيعون السعي نحو الوفاء بالتزاماتهم الجماعية في الكفاية أمام الله سبحانه وتعالى، وإقامة خلافة تحكم بكل ما أنزل الله سبحانه وتعالى.

روى تميم الداري رضي الله عنه أن الناس في عهد عمر رضي الله عنه بدأوا يتنافسون في بناء الأبنية العالية، فقال الخليفة الراشد الثاني، عمر رضي الله عنه، **"يَا مَعْشَرَ الْعُرَبِ، الأَرْضَ الأَرْضَ، إِنَّهُ لاَ إِسْلاَمَ إِلاَّ بِجَمَاعَةٍ، وَلاَ جَمَاعَةَ إِلاَّ بِإِمَارَةٍ، وَلاَ إِمَارَةَ إِلاَّ بِطَاعَةٍ. فَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى الْفِقْهِ كَانَ حَيَاةً لَهُ وَلَهُمْ، وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى غَيْرِ فِقْهٍ كَانَ هَلاَكاً لَهُ وَلَهُمْ"** (رواه الدارمي)

المحتويات

الإخلاص الخالص

خليفة محمد- الأردن

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الكهف/109-110].

يقول ابن عباس في سبب نزول الآية الأولى كما نقله القرطبيّ في تفسيره: "قالت اليهود لما قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم – ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [سورة الإسراء/85] قالوا: وكيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فنزلت: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ**﴾ الآية. ويتابعُ القرطبيّ بقوله: وقيل: قالت اليهود: إنك أوتيت الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم زعمت أنك لا علم لك بالروح؟! فقال الله - تعالى – قل: وإن أوتيت القرآن وأوتيتم التوراة فهي بالنسبة إلى كلمات الله - تعالى - قليلة"، فالآيةُ كما السورةِ نزلت جواباً لأسئلة أعطاها يهود المدينة إلى كفار قريش ليسألوها للرسول صلى الله عليه وسلم ليتأكدوا من أنّه نبيّ مرسل، وهي: عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من شأنهم، فإنهم قد كان لهم شأنٌ عجيب، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وهو ذو القرنين، وعن الروح ما هو؟ فنزل جواب السؤالين الأولين في سورة الكهف، وجواب السؤال الثالث في سورة الإسراء. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية موضوعها سعة علم الله سبحانه وتعالى.

يقول ابن عاشور عن علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات في هذه السورة الكريمة: "لما ابتدئت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفيٌّ من أحوال الأمم؛ حُوّلَ الكلامُ إلى الإيذان بأنّ كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى. فهذا استئناف ابتدائي وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مفحمة للرسول وأنْ لا قِبَلَ له بعلمها؛ علَّمه اللهُ إياها، وأخبرَ عنها أصدقَ خبر، وبيّنها بأقصى ما تقبله أفهامهم وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها، وكان آخرها خبر ذي القرنين، أتبع ذلك بما يُعْلَمُ

منه سعةُ علم الله تعالى، وسعةُ ما يجري على وَفْقِ علمه من الوحي إذا أراد إبلاغَ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله. وفي هذا رد عجز السورة على صدرها"، وهذا؛ أي: ردّ العَجُز على الصدر من فنون البلاغة، وفيه ربط آخر السورة بأولها.

قلنا إنّ موضوع هذه الآية هو علم الله سبحانه وتعالى، العلم المحيط المطلق الذي لا نهاية له، وقد ابتدأت الآية الكريمة بفعل الأمر **(قُلْ)** مخاطَباً بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تأكيد على مهمّة الرسول في تبليغ وحي الله سبحانه وتعالى إلى الناس، ثم جاء التصوير البديع الذي صوّر سعة علم الله تعالى بأنْ لو كان البحر مداداً؛ أي حبراً تُكتب به كلمات الله، سُمّي مِداداً لإمدادِه الكاتب؛ لنَفِدَ البحرُ؛ أي: انتهى وفَرُغ؛ قبل تنتهي كلماتُ الله، وليس هذا فحسب، بل لو أُتِيَ بمثل البحر عدداً ووزناً لنَفِدَ دونَ أنْ تنفَدَ كلماتُ الله، وفي الكلام حذف تقديره "مداداً لكتابة كلمات الله".

وكلماتُ الله كما يقول الشيخ الشعراوي: "هي (كن) وكلّ مرادات الله في كونه، ما علمنا منه وما سنعلم، وما لم نعلم إلا حين تقوم الساعة"، فمع أنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنّه وضعَ علمَه الخاصَّ بالسموات والأرض في اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [سورة الحج/70]، فأخبر سبحانه أنّه يعلم ما في السماء والأرض، وأخبر أنّ علمَه ذلك في كتاب، وهو يسير عليه سبحانه. أخرج الترمذي عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ**". فمع ذلك فإنّ علم الله المطلق أكبر وأوسع من علمه الخاص بالسموات والأرض، وأنّ كلماتِه المعبّرةَ عن علمِه المطلَق لا تكفي بحارُ الأرض لو كانت حبراً لكتابة كلماته، ويؤكّد ذلك قوله سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ**﴾ [سورة لقمان/27]، فلو أنّ أشجار الأرض منذ أنْ خلق اللهُ الأرضَ وإلى أنْ يرثَها سبحانه وتعالى صُنعت منها أقلام للكتابة، وكان الحبر الذي يُكتَب به هو ماءُ البحر، ويمدّه من بعده سبعة أبحُر؛ لنفِدَ ذلك الحبر ولم تنفَدْ كلمات الله، فعلمُ الله عز وجلّ لا يحيطُ به شيء ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [سورة البقرة/255].

أمّا الآية الثانية فقد قال الطبريّ في تفسيرها: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَا مُحَمَّدُ: ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ مِنْ بَنِي آدَمَ لَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّ

مَعْبُودَكُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ، فَمَنْ يَخَافُ رَبَّهُ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَيُرَاقِبُهُ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَيَرْجُو ثَوَابَهُ عَلَى طَاعَتِهِ؛ فَلْيُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلْيُفْرِدْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ".

وقد بُدئت هذه الآية بما بُدئت به سابقتُها، بفعل الأمر (قُلْ) خطاباً للرسول صلى الله عليه وسلم وأمراً له أنْ يقول: ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ ، وقد تكرّر هذا الأمر كثيراً في القرآن الكريم، تأكيداً على بشريّة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبشريّة الرسل والأنبياء قبله، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾، فالبشر يرسلُ الله سبحانه وتعالى إليهم بشراً مثلهم ومنهم، ولا يرسلُ إليهم ملائكة -كما طلب الكفّار- في غير موضع من القرآن الكريم، ولو كان في الأرض ملائكة وأراد الله أن يرسلَ إليهم رسلاً لأرسل إليهم ملائكة، قال عز وجلّ: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**﴾ [سورة الإسراء/95]، ولعلّ من الحكمة في ذلك أنْ يُكلَّفَ الرسولُ بما يُكلَّفُ به الناسُ الذين أرسل إليهم، فيصبح الرسول قدوة وأسوة لقومه، مبلّغاً إياهم رسالةَ الله تعالى بقوله وفعله، وأكّد القرآن الكريم هذه اللفتة بقوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾ [سورة الأحزاب/21].

وبيّنت الآيةُ وظيفةَ الرسول بأنّه مبلّغٌ وحي الله تعالى إليه، وأنّ أول ما يُوحى إلى الرسول أنّما إلهنا إله واحد، وبهذا جاء الرسل والأنبياء كلهم؛ الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبودية، وقد تكرّر في القرآن الكريم بيان وظيفة الرسول بأنّها البلاغ المبين، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [سورة النور/54]. ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية موافقة لفطرة الإنسان ومقنعة لعقله، توافق غريزة التديّن عند الإنسان، التي تدفعه للإحساس بالعجز الطبيعي والنقص والمحدودية والاحتياج، ولا يُشبَع هذا الإحساس إلا بالإيمان بالله الخالق المدبر، وتقنع عقله لوقوع حواسّه على احتياجه واحتياج الأشياء حوله إلى الخالق المدبّر، فهذا الخلق البديع، وذاك النظام العجيب الذي يسير عليه الكون حول الإنسان في كل صغيرة وكبيرة يقتضي وجود الخالق، ويقتضي وجود المنظّم الذي يخضع له الكون، فجاءت دعوة الرسل بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية مقنعة لعقل الإنسان وموافقة لفطرته، تملأ عقله قناعة وإيماناً، وفطرته طمأنينة ورضا.

أمّا الجزء الأخير من الآية الثانية الذي هو ختام السورة، وهو قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ فقد تضمّن معانيَ عدة، أولها الإيمان باليوم الآخر، المعبّر عنه في هذه الآية بـ (لقاء ربه) لأنّ لقاء الله تعالى يكون في اليوم الآخر، وهو بعضٌ ممّا يقتضيه الإيمان باليوم الآخر، ولقاءُ الله ممّا حبّبه الله تعالى لعباده المؤمنين كما روى البخاريّ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ**"، وكان هذا من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الطبرانيّ في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان مَقامي بَيْنَ كتِفَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فكان إذا سلَّم قال: **اللَّهمَّ اجعَلْ خيرَ عُمُري آخِرَه اللَّهمَّ اجعَلْ خواتيمَ عمَلي رِضوانَكَ اللَّهمَّ اجعَلْ خيرَ أيَّامي يومَ ألقاكَ**".

لكنّ محبّة لقاء الله تعالى ورجاءه تقتضي أمرين متلازمين، أولهما: العمل الصالح، وثانيهما: عدم إشراك أحدٍ مع الله تعالى في العبادة. أمّا العمل الصالح فهو ما أمر اللهُ سبحانه القيامَ به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وبيان العمل الصالح من مهمة الأنبياء والرسل، روى النسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إنَّهُ لمْ يكنْ نَبِيٌّ قَبلي إلَّا كان حَقًّا عليهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على ما يَعْلَمُهُ خيرًا لهُمْ ويُنْذِرَهُمْ ما يَعْلَمُهُ شَرًّا لهُمْ**"، فلم يُترك تحديد العمل الصالح للإنسان، لأنّ حكم الإنسانِ على الأشياء وعلى الأفعال عرضةٌ للاختلاف والتفاوت والتناقض والتأثر بالبيئة، فهو يحكُم على ما يحبّه وعلى ما ينفعه أنّه خير له، ويحكم على ما يكرهه وعلى ما يضرّه أنّه شرٌّ له، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى خطأ هذه المقاييس البشرية حين فرض القتال فقال سبحانه: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة/216]، فحقيقة العمل الصالح هو ما جاء الأنبياء والرسل لتحديده وبيانه، وبعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصبح تحديد العمل الصالح مرهوناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ رسالته نسخت الرسالات السابقة.

وأمّا الأمرُ الأخير في هذه الآية وهو ما ختمت به السورة الكريمة فهو عدم إشراك أحدٍ مع الله تعالى في العبادة، بمعنى ألّا نعبدَ الله سبحانه، لكنّ العبادة المقصودة هي الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى، وليست العبادات بمفهومها الخاص، التي تنظّم العلاقة بين العبد وخالقه فحسب، روى الطبراني في الكبير والترمذي والبيهقي في السنن الكبرى أنّ عديّ

بن حاتم قدمَ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو نصرانيٌّ فسمعه يقرأُ هذه الآيةَ : **(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [سورة التوبة/31] قال: فقلتُ له: إنَّا لسنا نعبدُهم ، قال: " **، ويحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ فتحلُّونَه، قال: قلتُ: بلى، قال: فتلك عبادتُهم**"، فعبادة الله تعالى وحده تعني إفراده بالتوحيد وإفراده بالتحليل والتحريم، وتعني طاعته المطلقة في كلّ ما أمر به وكلّ ما نهى عنه.

كما أنّ عبادة الله تعالى وحده تقتضي من العبد المؤمن الإخلاص الخالص، إخلاص العبادة لله سبحانه وحده، دون أن تشوبَها شائبة من رياء أو سُمعة، روى مسلمٌ في صحيحه عن عبد الله بن جندب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**مَن يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللَّهُ به، ومَن يُرائِي يُرائِي اللَّهُ بِهِ**"، وروى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**قال اللهُ تعالَى: أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ**"، وعليه فإنّ من كان يحبُّ ويرجو لقاء الله تعالى فليؤمن بالله وحده ربّاً وخالقاً ومدبراً، لا يستعين إلا به، ولا يتوكّل إلا عليه، ولا يرجو غيره، وليلتزم العمل الصالح كما أمر الله سبحانه وتعالى، أي فليجعل الحلال والحرام مقياسه في هذه الحياة الدنيا.

ونختم بلفت النظر والاهتمام إلى مسألة مهمة أشار إليها الجزء الأخير من الآية الثانية، خاتمة سورة الكهف، وهذه المسألة هي حلُّ العقدة الكبرى عند الإنسان الحلّ الصحيح، فقد أجابت عن الأسئلة الثلاثة التي تثيرها غريزة التديّن عند الإنسان، وهي: من أين جئت؟ ولماذا؟ وإلى أين؟ فالله تعالى هو خالقنا ومدبّر أمرنا وأمر الكون كله، وخلقنا لعبادته والتزام أوامره واجتناب نواهيه، ورجوعنا إليه سبحانه وتعالى في اليوم الآخر للحساب والثواب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن نكون ممن يرجو لقاء الله تعالى ويحبّه لنفوز برضاه والجنة، ونسأله أن يبرم للمسلمين أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعته ويذلُّ فيه أهل معصيته.

المحتويات

ستظل مواقف الصدّيق نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع به

ماهر الدبعي – اليمن

اسمه ولقبه وصفاته:

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَبدُ اللهِ بنُ أَبِي قُحَافةَ عُثْمَان بن عَامِر التَّيمي القُرَشيّ (50 ق.هـ - 13هـ / 573م - 634م). وقد لقب أبو بكر بـ (الصِّديق، الصاحب، العتيق، الأتقى، الأوَّاه)، فكل لقب له قصة تبين فضائل أبي بكر؛ ولكن لقبَ الصِّديق التصق باسمه لما لهذه الصفة من فضل؛ إذ كانت في وقت التكذيب والصد عن سبيل الله عز وجل من المشركين.

وقد اشتهر أبو بكر في الجاهلية بصفات عدة، منها العلم بالأنساب، وأخبار العرب، فقد رُوي أن النبي ﷺ قال: **«فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا»** صحيح مسلم.

وقد كان أبو بكر تاجراً، قال ابن كثير: "وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته"، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم... ومنهم من وصفه بأن أهل مكة كانوا يحبُّون مجالسته فهو حسن العشرة، ذو عقل وحلم، ليِّن، كريم، وصادق، وذو حياء وعزة ووقار.

وأبو بكر لم يقم بما قام به أهل الجاهلية من السجود للأصنام وشرب الخمر وقتل الأولاد خوفاً من الفقر، ولم يجتمع في مجالس قومه إلَّا في الأخلاق الحميدة والفضائل.

إن سيرة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه مليئة بالمواقف والبطولات ومفعمة بعبق الإيمان، فشخصيته تلفُّها الصفات الحميدة وتزينها مكارم الأخلاق، وكان له السابقة في الإيمان والدعوة إلى الله عز وجل والدفاع عن رسول الله ﷺ والإنفاق في إعزاز الدين، وكان أول من أوذي في الله عزَّ وجلَّ، فهو صاحب رسول الله ﷺ، ورفيقه في حلّه وترحاله، وهو أعلم الناس به وأمينُ سره وأحبُّ الناس إليه من الرجال، وصاحب المواقف الحاسمة في الملمات والنوازل، أول خليفة في الإسلام، وناصر الدين والمدافع عن عقيدته وأحكامه، والمجاهد في سبيل الله عز وجل، ومن وفقه الله عز وجل لجمع كتابه.

كان رضي الله عنه تقيّاً محبّبا شجاعاً رحيماً ليناً حازماً ذا لبٍّ وبصيرة، ولو أردنا جمع صفاته لقلنا إنه لم تكن فضيلة أو مكرمة إلا وكان له حظٌّ منها، ولا عملٌ صالحٌ إلا حرص على أن يسبق إليه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ**

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه مسلم.

مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه تظل نبراساً لكل مسلم في الثبات على الحق والصدع بكلمة الله مهما كانت التحديات. أبو بكر الصديق هو القدوة التي يجب أن نتعلم منها الصبر والقيادة الحكيمة في الظروف الصعبة والصدق في الدعوة والعمل من أجل إعلاء كلمة الله.

إسلامه وسابقته:

عندما بعث النبي ﷺ دعا صديقه أبا بكر رضي الله عنه، فلم يتردَّد ولم يتشكَّك ولم يتأخَّر في الاستجابة لرسول الله ﷺ، فكان أول الرجال الأحرار إيماناً، وعلي رضي الله عنه من الغلمان، وعندما أسلم أبو بكر سُرَّ النبيُّ عليه الصلاة والسلام سروراً كبيراً. عن ابن كثير أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي، عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ، وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: "يا أبا القاسم فُقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها"، فقال رسول الله ﷺ: **«إِنِّي رَسُولُ اللهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ»**، فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر".

وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ممتدحاً إيمان أبي بكر فيما رواه ابن إسحاق، فقال: **«مَا دَعَوْتُ أَحَداً إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، مَا عَكَمَ مِنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ»**، (عكم بمعنى تلبث كما ذكره ابن هشام). كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ»**. أخرجه البخاري.

فكان إيمانه رضي الله عنه لو وزن بإيمان أهل الأرض لوزنهم، فقد أخرج أحمد: خرج إلينا رسولُ اللهِ ذاتَ يومٍ فقال: **«رَأَيْتُ آنِفاً كَأَنِّي أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ وَالْمَوَازِينَ، فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ فَهَذِهِ الْمَفَاتِيحُ، وَأَمَّا الْمَوَازِينُ فَهِيَ الَّتِي تَزِنُونَ بِهَا، فَوُضِعْتُ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ فَرَجَحْتُ بِهِمْ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَرَجَحَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ، ثُمَّ رُفِعَتْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَأَيْنَ نَحْنُ؟ قَالَ: حَيْثُ جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ»**. وأخرجه ابن شيبة والطبراني.

دعوته للإسلام ومواقفه فيها:

وكان أبو بكر رضي الله عنه حاملاً لدعوة الإسلام من طراز فريد، وظهر ذلك في الكثير من الأعمال والمواقف.

فقد دعا إلى الله عز وجل فأسلم على يديه العديد من الصحابة: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، كما دعا أبو بكر أسرته وعائلته، فأسلمت بناته أسماء وعائشة، وابنه عبد الله، وزوجته أم رومان، وخادمه عامر بن فهيرة.

وأبو بكر رضي الله عنه هو الذي ألحَّ على رسول الله ﷺ بالجهر بالكتلة المؤمنة في تحدٍّ وصدعٍ بالحق في مكة، روى ابن كثير في البداية والنهاية عن عائشة رضي الله عنها قالت: فإنه لما اجتمع أصحاب النبي محمد ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على النبي في الظهور، فقال: **«يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ»**، فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر الرسول، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً والرسول جالس، فكان أولَ خطيب دعا إلى الإسلام، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فوُطئ أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر، حتى ما يُعرف وجهُه من أنفه، وجاءت بنو تيم يتعادون، فأجْلَت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشُكُّون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة (والد أبي بكر) وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: "ما فعل رسول الله ﷺ؟"، فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمه أم الخير: "انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه"، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: "ما فعل رسول الله ﷺ؟"، فقالت: "والله ما لي علم بصاحبك"، فقال: "اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه"، فخرجت حتى جاءت أم جميل (وكانت تخفي إسلامها)، فقالت: "إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله"، فقالت: "ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟"، قالت: "نعم"، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح وقالت: "والله إن قوماً نالوا منك لأهلُ فسق وكفر، إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم"، قال: "فما فعل رسول الله ﷺ؟" قالت: "هذه أمك تسمع"، قال: "فلا شيء عليك منها"، قالت: "سالمٌ صالحٌ"، قال: "أين هو؟"، قالت: "في دار الأرقم"، قال: "فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ"، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على

الرسول محمد، فأكبَّ عليه الرسولُ فقبَّله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له الرسولُ محمدٌ ﷺ رقَّةً شديدةً، فقال أبو بكر: "بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار"، فدعا لها النبي ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت.

وعندما علم أبو بكر بتعذيب بلال بن رباح -وكان عبداً لأمية بن خلف- قصد موقع التعذيب، وفاوض أمية واشتراه منه وأعتقه لوجه الله تعالى، وفعل الشيء نفسه مع عدد من العبيد والإماء الذين أسلموا فاشتراهم وأعتقهم، منهم: عامر بن فهيرة، وأم عبيس (أو أم عميس)، وزنيرة، كما أعتق النهدية وبنتها، وابتاع لبينة جارية بني مؤمل وكانت مسلمة فأعتقها أيضاً.

الهجرة وصحبة الرسول ﷺ

لقد طمع الصديق بصحبة النبي ﷺ، وتجهز لذلك، قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال؛ فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له رسول الله: **«لَا تَعْجَلْ، لَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لَكَ صَاحِباً»**، فقد طمع بأن يكون رسول الله إنما يعني نفسه حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وعندما أذن الله لنبيه بالهجرة، خرج ﷺ من بيته سالماً من بين من اجتمعوا، لقتله وذهب إلى بيت أبي بكر، وتروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها ما حدث: "كان لا يخطئ رسولُ الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: "ما جاء رسولُ الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث"، فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: **«أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ»**، قال: "يا رسول الله إنما هما ابنتاي. وما ذاك فداك أبي وأمي؟"، قال: **«إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ»**، فقال أبو بكر: "الصحبة يا رسول الله؟"، قال: **«الصُّحْبَةَ»**، قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي". (البداية والنهاية، ابن كثير) واحتمل ماله كله وكانت خمسة آلاف أو ستة آلاف كما روت أسماء بنت أبي بكر. وخرج مع رسول الله ﷺ إلى غار ثور، واضعاً ماله ونفسه فداء لرسول الله ﷺ، وكان حريصاً أن لا يصيبه ﷺ أذًى أو مكروه.

قال محمد بن سيرين: "ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ، فقال: **«يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ، وَسَاعَةً خَلْفِي؟»** فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال: **«يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ لَأَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟»** قال: نعم، والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله، حتى أستبرئ الحجرة، فدخل واستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل، فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر"، حديث صحيح.

واقتفى المشركون أثر النبي ﷺ حتى وصلوا إلى جبل ثور، ووصلوا إلى الغار، ولكن لطف الله عز وجل وتأييده لنبيه ﷺ جعلتهم يرتدون على أدبارهم خائبين، فعن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قلت للنَّبيِّ ﷺ وأنا في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ: **«مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟»** البخاري.

وأنزل الله عز وجل في ذلك قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال، ثم انطلقا وقد هدأ الطَّلب حتى وصلا المدينة المنورة.

صاحب رسول ﷺ ووزيره وسهم في كنانته:

كان أبو بكر الصديق لا يفارق رسول الله ﷺ في حلّه وترحاله، فكان وزيره ومستشاره وأنيسه وأحب الناس إليه، ولم يتخلف رضي الله عنه عن غزوة معه، وبذل كل ماله في غزوة تبوك ولم يُبقِ لأهله شيئاً من المال فاشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله سبحانه، فكان رضي الله عنه يسابق في الخيرات، حتى أتعب منافسيه وسلموا أنهم لن يسبقوه أبداً.

وكان رضي الله عنه من أعظم الناس حبّاً لرسول الله ﷺ، ومن أكثر الناس معرفة به. فعن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: **«إنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا ما شاءَ، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَهُ»**. فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقالَ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا، فَعَجِبْنا له، وقالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ؛ يُخْبِرُ رَسولُ

اللهِ ﷺ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، وهو يقولُ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فَكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ هو المُخَيَّرَ، وكانَ أبو بَكْرٍ هو أعْلَمَنا به. وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: **«إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسلام، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أبِي بَكْرٍ»** البخاري [الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها بابٌ].

أبو بكر رجل اللحظة والمواقف الصعبة والحاسمة

لقد ظهر ذلك في مناسبات عدة أهمها موت رسول الله ﷺ، وأيضاً في التصدي للمرتدين ومانعي الزكاة والإصرار على قتالهم، ما أدى إلى حفظ الدولة وحفظ العقيدة وأحكام الإسلام:

موت رسول الله ﷺ:

كان وقع موت رسول الله ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم عظيماً، فهم في حالة من الصدمة ومن الذهول والاضطراب، فمنهم من لم يستطع الكلام، ومنهم من أقعد لا يستطيع القيام، ومنهم من أنكر موته. فعلم أبو بكر رضي الله عنه بخبر موت رسول الله ﷺ، وكان غائباً كما جاء في صحيح البخاري: (أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ مَاتَ وأَبُو بَكْرٍ بالسُّنْحِ، - قَالَ إسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يقولُ: واللهِ ما مَاتَ رَسولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: وقَالَ عُمَرُ: واللهِ ما كانَ يَقَعُ في نَفْسِي إلَّا ذَاكَ، ولَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أيْدِيَ رِجَالٍ وأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ فَكَشَفَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، طِبْتَ حَيّاً ومَيِّتاً، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يُذِيقُكَ اللهُ المَوْتَتَيْنِ أبَداً، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أيُّها الحَالِفُ، علَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أبو بَكْرٍ وأَثْنَى عليه، وقَالَ: ألا مَن كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ فإنَّ مُحَمَّداً قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وقَالَ: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾، وقَالَ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ...).

بيعة سقيفة بني ساعدة:

ما إن علم الناس بموت رسول الله ﷺ حتى اجتمع الأنصار لبيعة سعد بن عبادة خليفة لرسول الله ﷺ فعلم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بما اجتمع الأنصار من أجله، فقدموا إلى السقيفة ليوقفوا ما عزم الأنصار عليه، وأثبتوا لهم بالحجة أحقية المهاجرين من قريش، وأحقية أبي بكر بالخلافة، فبايع من كان بالسقيفة أبا بكر رضي الله عنه، وقبل بتولي الخلافة توحيداً للمسلمين وجمعاً لكلمتهم.

فقد خطب أبو بكر معتذراً من قبول الخلافة فقال: "والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أنّ أقوى الناس عليها مكاني". (أخرجه الحاكم بإسناد صحيح)

فكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه إرساء للخلافة من بعد رسول الله ﷺ، وترسيخاً لطريقة نصب الخليفة أنها البيعة، وترسيخاً لنظام سياسي للمسلمين (الخلافة الراشدة) من بعد النبي ﷺ، فقد قاد ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه باقتدار، بصفته أول خليفة للمسلمين.

أبو بكر خليفة للمسلمين:

كانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة شهور، فمع أنها مدةٌ قصيرةٌ ولكنَّها كانت حافلة بالإنجازات والأعمال الجليلة من ترسيخ دعائم الحكم، والقضاء على الارتداد والتمرد والعمل على نشر الدعوة الإسلامية في بلاد فارس والروم، وكان ذلك في آن واحد، فكانت الفتوحات ونشر الدعوة الإسلامية.

خطبة أبي بكر الصديق عند توليه الخلافة:

كانت خطبة أبي بكر الصديق الأولى عند توليه الخلافة ترسم السياسة الداخلية والعلاقة بين الرعية والحاكم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وتبين موقع الخليفة من الرعية وحقه عليها وحق الرعية على الخليفة، وترسم السياسة الخارجية القائمة على حمل الدعوة من طريق الجهاد. فعلى قِصَرها رسمت هذه الخطبة أسس الدولة ومنهاجها، فقد قال رضي الله عنه: "أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله" ذكره ابن الأثير بإسناد صحيح.

إدارة شؤون الدولة:

لقد أدار أبو بكر شؤون الدولة باقتدار وبحرفية منقطعة النظير وببصيرة نافذة، فقد حرص على عدم تغيير الولاة الذين عينهم الرسول ﷺ، وحافظ على هيكل الحكم كما كان في زمن الرسول ﷺ وأصر على إنفاذ بعث أسامة بالرغم من الأخطار التي كانت تعصف بالدولة،

وواجه التمرد من مانعي الزكاة والمرتدين في آن واحد معاً، مع أن الدولة تعاني من قلة الجند في أعمال سياسية فذة صادرة من رجل دولة من طراز فريد.

بعث جيش أسامة بن زيد وحروب الردة:

بعد أن اختاره الصحابة خليفةً لهم، كانت إدارة أبي بكر الصديق للدولة مليئة بالتحديات. ففي ظل الظروف الصعبة، استطاع أن يحفظ وحدة الأمة الإسلامية ويُقوي الدولة.

حروب الردة:

بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض الناس عن الإسلام في بعض المناطق العربية. لكن أبا بكر الصديق قرر أن يقف في وجه هذه الردة بكل حزم، وأصر على أن يحارب المرتدين. هذه الحرب كانت شجاعة وحاسمة، وأثبت فيها أبو بكر صدق ولائه لدين الله ورسوله ﷺ.

أصدر أبو بكر أمراً لجيش أسامة الذي أعدَّه رسول الله ﷺ لحرب الروم "ألا يبقى بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف" (البداية والنهاية). وكان قد اعترض بعض الصحابة على أبي بكر في إنفاذ الجيش، وأن يبقى لمواجهة الردة والتمرُّد فقالوا: "إن هؤلاء جلُّ المسلمين، والعربُ على ما ترى قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين" (البداية والنهاية) فقال أبو بكر: "والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته" (تاريخ الطبري)

فأمضى الجيش وأوصاه، فوصل إلى بلاد الروم وحقق انتصارات عظيمة عززت الهيبة لدولة الإسلام، وكان خروج الجيش في هذا الظرف العصيب أوجد المهابة عند المتمردين والمرتدين في الدولة الإسلامية.

ورفض أبو بكر اعتراض الصحابة رضي الله عنهم -ومنهم عمر بن الخطاب- على محاربة مانعي الزكاة للدولة وهم معترفون بوجوبها، فكان ثاقب النظر ومتفتح البصيرة، فلم يقبل بذلك واعتبره تمرداً وخروجاً على الدولة، ونقصاناً في الدين، وقال قولته المشهورة: "أينقص الدين وأنا حي؟!". وقال أيضاً: "والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها" البخاري. وفي رواية "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه"، فقال عمر بن الخطاب: "فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق" مسلم.

وقاتل أبو بكر المرتدين بنفسه، وخرج على رأس الجيش، فعرض الصحابة عليه أن يبقى في المدينة لإدارة شؤون الدولة ويولي غيره القيادة، فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته، فقال: "إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد، شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً»"، فرجع. (البداية والنهاية، ابن كثير).

وقد نصر الله المسلمين في حروب الردة، واستشهد عددٌ كبيرٌ من الصحابة فيها، وكان بينهم كُتّاب الوحي الذين يحفظون القرآن الكريم ويكتبون منه عدداً من آياته وسوره، فأمر رضي الله عنه زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم مما كُتب وما حُفظ، بعد أن شرح الله صدره لهذا الأمر، وتمكّن زيد رضي الله عنه من جمعه في مصحف واحد قبل وفاة أبي بكر؛ ليكون ذلك في ميزان حسناته.

جمع القرآن:

أبو بكر الصديق كان من أول من قرر جمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي ﷺ، خوفاً من أن يُفقد جزء من القرآن بسبب استشهاد الكثير من حفاظ القرآن في المعارك. وقد أتم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جمع القرآن في مصحف واحد، وهو الخطوة الأولى لحفظ كتاب الله للأجيال القادمة.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان رجل الإيمان والتضحية والصدق في زمن كان فيه التحدي أكبر من أي وقت مضى. قدم الكثير من المواقف المشرفة التي جعلته أعظم خليفة في تاريخ الأمة، وأحد أعظم الشخصيات التي سطر التاريخ أسماءهم في صفحات النبل والبطولة. لقد كان أبو بكر مثالاً للصحابي الذي لا يتردد في التضحية بنفسه وماله ووقته من أجل نصرة الإسلام.

توجيه الجيوش إلى بلاد الشام والعراق:

اغتنم أبو بكر رضي الله عنه فرصة أن الفرس والروم كانوا على خلاف، فقام بإرسال الفاتحين شرقاً وغرباً بالوقت نفسه، فأرسل إلى منطقة الفرس خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة، وانتصروا وفتحوا عدداً من المدن العراقية؛ كالأنبار، ودومة الجندل، والفراض، وفتحوا الحيرة، كما أرسل إلى منطقة الروم في بلاد الشام جيوشاً بقيادة يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وأرسل دعماً بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم جميعا، وكانت البلاد المُستهدفة هي الأردن وفلسطين ودمشق وحمص، وقد وقعت معركة اليرموك بين الروم والمسلمين، وانضم خالد بن الوليد إليهم لدعمهم، وخلال

المعركة وصل المسلمين نبأُ وفاة خليفة المسلمين الأول، فتولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة من بعده.

استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب:

لقد استشعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخطر على الدولة الإسلامية وهي تخوض حروباً مع أعظم دولتين في آن واحد، فحتى لا يختلف المسلمون من بعده، وبعد مشورة مع الصحابة رشح لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتتم مبايعته بعد وفاته من المسلمين، وكتب بذلك كتاباً وقرأه على الناس حرصاً منه رضي الله عنه على الدولة في هذه المرحلة الحساسة.

تخوف الصحابة من استخلاف عمر:

لقد ذكر ابن الأثير ذلك التخوُّف، فقد "دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر بعد أن علم بأنه ولَّى عمر من بعده، فقال له: "استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك؟! فانتفض أبو بكر وأمسك بكتفه وهزه وقال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفني؟! (أي هل تظن أنك أكثر ورعاً مني، فتخوفني بالله؟!) إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك".

وحرص الصديق ورعاً منه أن لا يكون قد تكسَّب من منصب الخلافة بدرهم أو متاع، فقال فيما ترويه أم المؤمنين عائشة: "انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي"، فنظرنا فإذا عبد نوبي (منطقة النوبة) كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح (البعير الذي يُستقى عليه) كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فبكى عمر، وقال: "رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً" ذكره ابن الجوزي وذكره غيره بإسناد صحيح.

وفاة أبي بكر الصديق:

تروي أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ الصدّيق رضي الله عنه مات متأثّراً بمرضه بعدما اغتسل في ليلةٍ شديدة البرد، فأصيب على إثرها بالحمّى، ولم يستطع أن يخرج للصلاة خمسة عشر يوماً، وقد أوصى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بإمامة الناس لصلاة الجماعة نيابةً عنه، إلى أن توفي في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، الموافق الثالث والعشرين من شهر آب من عام ستمائةٍ وأربعة وثلاثين ميلادية

(الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني). وكانت آخر كلماته قبل وفاته "رب توفَّني مسلماً، وألحقني بالصالحين" قالها، ولفظ أنفاسه الأخيرة، رحمه الله ورضي عنه.

وضجَّت المدينة لخبر وفاة الصدّيق رضي الله عنه، ولم ترَ المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يوماً أكثر باكياً وباكية من ذلك المساء، وحزن الصحابة رضوان الله عليهم حزناً شديداً على فراقه، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعاً باكياً مسترجعاً، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر، فقال: "رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلفَ رسول الله ﷺ وأنيسه، ومستراحه وثقته، وموضع سره ومشاورته" إلى أن قال: "والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك"، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم، وقالوا: "صدقت". (التبصرة لابن الجوزي).

المحتويات

التدرج في تطبيق أحكام الإسلام

فارس منصور – العراق

إن فكرة التدرج في تطبيق الإسلام تعد من الأفكار الخطيرة على الإسلام لأنها تثبط عزيمة العاملين للإسلام وتبعدهم عن الثوابت الشرعية في المواقف والأعمال، إذ إن الدعوة إلى التدرج في تطبيق الإسلام تعني أن هذه الدول القائمة حاليا في بلاد المسلمين هي دول إسلامية بحاجة إلى إصلاح فقط، في حين أنها في واقع الحال دول تطبق أنظمة كفر يجب أن تُقلع من جذورها بدل الدعوة إلى التدرج في تطبيق الإسلام الذي يطيل في عمرها، ولا يخفى علينا أنّ المناداة بالتدرج قد جاءت كردة فعل أمام ما يلمسه الدعاة من صعوبة تطبيق كل أحكام الإسلام في ظل سيطرة الغرب الكافر وعملائه من الحكام على رقاب المسلمين.

ونظراً لما لهذا الموضوع من أهمية فقد تحدث وكتب عنه الكثيرون، إلا أنني وددت أن أذكر بعض النقاط التي أراها مهمة:

أولا: يطلق مصطلح التدرج ويُراد به الوصول إلى الحكم الشرعي المطلوب على مراحل، وليس دفعة واحدة؛ ولذلك يعبر عنه أيضا بالمرحلية، كأن يطبق المسلم حكماً غير شرعي ولكنه قريب للحكم الشرعي بنظره، ثمَّ يتدرج في التطبيق حتى يصل إلى الحكم الشرعي المطلوب، كأن تلبس المرأة المسلمة مثلا لباساً يصل ثوبها فيه إلى ما تحت ركبتها بقليل ريثما يطبق في مرحلة لاحقة الحكم الشرعي المطلوب، ومن المهم أن ننبه إلى أن التدرج غير مقيد بعدد ثابت من المراحل، فقد يأخذ الحكم الواحد مرحلة أو مرحلتين أو أكثر، فالتدرج مرهون للظروف والأوضاع التي تحكم عدد المراحل.

ثانيا: الأدلة التي يستدل بها دعاة التدرج لا تتبع الطريقة الصحيحة في الاستنباط، فهم لم يستنبطوا من الأدلة الشرعية بعد دراستها أن التدرج جائز، بل إنهم قرروا أن التدرج ضروري ثم أخذوا يبحثون عن الأدلة على جواز ذلك، ويتضح هذا من خلال استدلالهم ببعض الآيات الكريمة:

أ- الآيات المتعلقة بالربا: من مجمل آيات الربا قالوا إن الله تعالى لم يحرمه دفعة واحدة، بل نزل تحريمه على مراحل، حيث إن الربا كان مباحاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾ (الروم: 39)، ثم نزل تحريم أكل الربا المضاعف دون القليل لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل

عمران: 130)، وأخيراً حرّم الله تعالى الربا بقوله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ (البقرة: 275).

ولرد هذا الكلام نقول إن الربا تم تحريمه في بادئ الأمر بقوله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ (البقرة: 17)، حيث إن سورة البقرة هي السورة التي نزل فيها تحريم الربا وهي أول سورة نزلت في المدينة كما ذكر ذلك المفسرون، وعليه فلا يوجد ما يدل على أنه حُرم على مراحل، وتعدد النصوص الواردة في الموضوع كان لوقائع معينة، ولا يوجد فيها ما يدل على التدرج. فقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُضْعِفُونَ**﴾ (الروم: 39)، لا علاقة لها بالربا، ومعناها أن من أعطى هبة أو هدية يريد ضعفها أو استردادها من الناس فلا ثواب عليها عند الله، ذكر ذلك القرطبي وابن كثير عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب، والشعبي. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: 130) أيضا لا دلالة لهم فيه، فقد نزلت الآية تنهى عن أكل الربا المضاعف باعتبار ما كان أهل الجاهلية معتادين عليه عند تعاملهم بالربا ولا يوجد في الآية ما يدل على تقييد تحريم الربا بالمضاعف.

ب- الآيات المتعلقة بالخمر: من مجمل هذه الآيات فهم القائلون بالتدرج أن الخمر كان مباحاً في بادئ الأمر بدليل قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾ (البقرة: 219)، ثمَّ نزل تضييق الإباحة بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ (النساء: 43)، ثمَّ نهي عن الخمر بعد هذا التضييق وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ (المائدة: 91).

ونقول إنّ هذه الآيات لا تدل على التدرج في تحريم الخمر، فالخمر لم تكن محرمة، بل كانت متروكة على البراءة الأصلية، حتى نزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾، والمدقق في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ (النساء: 43)، يرى أنها لم تَنْهَ المسلمين عن الصلاة وقد شربوا الخمر، بل نهت عن الصلاة في حالة السكر حتى يعلم المسلمون ما يقولون، ولو كان المسلم بعد نزول هذه الآية تفوح منه رائحة الخمر وهو يصلي بالمقدار الذي لا

يضيع معه عقله فلا شيء عليه، ولم يحصل أن أحداً استحل شرب الخمر بعد تحريمها، لا في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين وتابعيهم، وسيبقى الحكم كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثا: كان النبي ﷺ يبلّغ التشريع الجديد لحظة نزوله ويأمر باتباعه فلا يتدرج في تطبيق ما نزل عليه، ولا يسمح بالحرام بعد تحريمه، ولا يعمل بالمنسوخ بعد النسخ، فليس هناك أي دليل أو إثبات على أن الرسول ﷺ قد أجَّل تطبيق بعض الأحكام، أو أنه قد طلب من صحابته تطبيق أحكام وأباح لهم تأجيل أخرى حتى يُفهم من ذلك أنه تدرج، بل العكس من ذلك، نجد من سيرته العطرة أنه ﷺ رفض دعوات زعماء قريش له بالتنازل ولو عن القليل من أحكام الله، حيث رفَض رسول الله ﷺ التناوب على الحكم يوم عرضته عليه قريش، وكذلك نجد موقفه من بني عامر بن صعصعة عندما طلبوا أن يكون الأمر فيهم من بعده مع شدة الحاجة عنده لوجود من ينصر الدعوة حينها، ولكنه قال لهم: **«الْأَمْرُ إِلَى اللهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»**، وموقفه من بني شيبان عندما أتوه وقالوا له: "يا محمد إن عندنا رجالاً كالذرّ ومالاً كالتراب وعزيمة وبأساً كالجبال، ننصرك على العرب ولا ننصرك على الفرس والروم"، فقال لهم رسول الله ﷺ: **(وَإِنَّ دِينَ اللهِ تَعَالَى لَنْ يَنْصُرَهُ إِلا مَنْ أَحَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ)**، وموقف النبي ﷺ من بني ثقيف حيث روى ابن هشام في سيرته أنه عندما قدم وفد ثقيف ليفاوضوا رسول الله سألوه أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين. فأبى رسول الله ذلك عليهم. فما برحوا يسألونه سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعهم شيئاً مسمّى. وهذا ما سار عليه الخلفاء من بعده في تطبيق أحكام الإسلام على البلاد المفتوحة، فقد كان تطبيقهم للأحكام رضي الله عنهم دفعةً واحدةً، دون تأخير أو تسويف أو تدرج.

رابعا: بالنظر إلى أرض الواقع، نكتشف أننا لم نجنِ من فكرة التدرج في تطبيق الإسلام إلا كل شر والأمثلة على ذلك كثيرة. ومنها مثلا في مصر فقد وصل الإخوان مسلمون إلى سدة الحكم فماذا كانت النتيجة؟! لم يستطيعوا إقامة الدين. وأما السودان فالدولة مقسمة، يعاني أهلها الفقر والحرمان. وتركيا التي يَعدّها العديد نموذجاً للحكم يحتذى به، واقعها أنها مرتع للعلمانية وتبعية للغرب. وأما في الأردن فأكبر همهم هو تغيير القانون الانتخابي حتى يتاح لأكبر عدد منهم دخول البرلمان. وفي تونس فقد وصل الحال إلى مخالفة أحكام شرعية قطعية الدلالة في القرآن الكريم مثل قوانين المساواة في الميراث بين الذكر والأنثى وتجريم تعدد الزوجات. واليوم في سوريا، نجد هيئة تحرير الشام قد وصلت إلى منتهى طريقها، وهو إسقاط النظام، فهم اليوم في سدة الحكم ولكنهم لم يلتفتوا إلى إقامة

حكم الله بعدما رهنوا أنفسهم بارتمائهم في أحضان الدول الأخرى. وجميع بلاد المسلمين خذلت المجاهدين في غزة بل وتآمرت عليهم، وهم يسمون أنفسهم دولا إسلامية.

وأخيرا: كنا وما زلنا نقول إن أمة الإسلام أمة كريمة وفيها الخير الكثير، وهي أمة تتوق لتطبيق الإسلام، وإن التغيير الحقيقي لن يكون إلا بالتغيير الجذري الشامل الكامل، وهذا لن يكون إلا في ظل الخلافة التي تطبق الإسلام نظاماً ودستوراً للحياة؛ وإن حزب التحرير يعمل ليل نهار بين الأمة ومعها، وقد أعد العدة لذلك، ومنها منهج كامل للدولة الذي هو مشروع دستور دولة الخلافة الذي يحتوي على أحكام الدولة المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبقوة الدليل، نسأله جل وعلا أن نكون من شهودها وجنودها.

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

المحتويات

سقف الصراع بين الهند وباكستان، محكوم بسقف السياسة الأمريكية واستراتيجيتها تجاه الصين

مُناجي محمد

يعتبر النظام العسكري الحاكم في باكستان تابعا لأمريكا، وما انفك قادته العسكريون يؤكدون موالاتهم لأمريكا باسم الشراكة الثنائية التي يطمعون في طول أمدها، فالنظام العسكري بباكستان أداة من أداوت السياسة الأمريكية واستراتيجيتها الكبرى في محاربة الإسلام وكذلك الهيمنة على أوراسيا لتحجيم وإضعاف منافسها الاستراتيجي الصين.

وكذلك هو نظام مودي بالهند؛ فقد انخرط كلية في السياسة الأمريكية لضرب الإسلام ولتحجيم واحتواء الصين، وصارت الهند مع مودي شقا رئيسيا في السياسة الاستراتيجية والجيوستراتيجية الأمريكية.

وكون نظامي باكستان والهند تابعين لأمريكا، وكون جيوستراتيجية الصراع بين الهند وباكستان تقع في منطقة أوراسيا الخطيرة وعلى حدود الصين الغربية، فإن الصراع الأخير بينهما يُقرأ ضمن دائرة السياسة الأمريكية، ويبقى سقف الصراع استراتيجيا وجيوستراتيجيا محكوما بسقف السياسة الأمريكية بمنطقة أوراسيا.

فأمريكا ترى في الصين أكبر تهديد لمصالحها وأخطر منافس لهيمنتها في أوراسيا، ولقد كانت الترجمة العملية لاستراتيجيتها في مواجهة الخطر الصيني، أن استخدمت دول آسيا والمحيط الهادئ لتطويق الصين بحزام ناري معادٍ، ووظفت شبه القارة الهندية وتحديدا الهند لهذا الغرض، وكانت الغاية تحجيم الصين كمقدمة لاحتوائها انتهاء بإضعافها.

الأمر الذي استدعى أمريكياً تعزيز قوة الهند وإضعاف خصمها باكستان وتحييد كشمير المحتلة وإخراجها من دائرة الصراع الباكستاني الهندي، وفرض الهند كقوة جيوستراتيجية بالمنطقة لمواجهة الصين، وظهر تخاذل وخنوع حكام باكستان التام للاستراتيجية الأمريكية إثر إعلان الهند في شهر آب/أغسطس عام 2019 أن كشمير المحتلة جزء من الهند.

لقد اعتُبِرت الهند دوما بالنسبة للسياسة الاستراتيجية الأمريكية كجزء من الإرث الاستراتيجي الاستعماري الغربي، بالأمس كانت الهند جزءاً من الاستراتيجية البريطانية واليوم تسلمتها اليد الاستراتيجية الأمريكية لتوظيفها في سياساتها ومشاريعها الجيوستراتيجية بمنطقة أوراسيا. ففي تقرير صادر عن وزارة الدفاع الأمريكية في تشرين الأول/أكتوبر 2002 ورد فيه "أن العسكريين الأمريكيين ماضون في خططهم للسعي للوصول إلى القواعد الهندية والبنى التحتية العسكرية... موقع الهند الاستراتيجي في وسط آسيا وكحلقة وصل بين الشرق الأوسط وأقصى آسيا يجعلها جذابة بالنسبة للجيش

الأمريكي". وفي عام 2005 كان ممثل قيادة المحيط الهادئ أكثر وضوحا أمام أكاديمية الحرب الأمريكية حيث قال: "نحتاج للدعم الهندي الملموس لأن أهدافنا الاستراتيجية عالمية... لا يزال وضع القوة الأمريكية ضعيفا بشكل خطير في قوس المنطقة الواقعة بين جزيرة دييغو غارسيا في المحيط الهندي وأوكيناوا وغوان في المحيط الهادئ."
وهكذا بدأت أمريكا في عسكرة الهند وتقوية قدراتها القتالية لدمجها في استراتيجيتها الأمنية وصولا للزج بها في حربها الباردة المعدلة ضد الصين. ولقد بدأت عملية إدماج الهند في الاستراتيجية الأمريكية منذ عام 2004، ومضت بوتيرة أسرع مع حكومة مودي وخلال ولاية ترامب الأولى؛ ففي عام 2016 وقعت الهند مذكرة اتفاق تبادل لوجيستي مع أمريكا، والتي تسمح لكل دولة باستخدام المنشآت العسكرية للدولة الأخرى لأغراض معينة، وتم توقيع اتفاق شبيه سنة 2020 لتثبيت الأول، كما وقعت الهند مع أمريكا اتفاقيات لتأمين الاتصالات المشفرة بين الجيشين، وتم توجيه التسليح الهندي صوب سوق شركات السلاح الأمريكي.
واليوم وبعد زيارة مودي الأخيرة لأمريكا يوم 13 شباط/فبراير 2025، ولقائه بالرئيس الأمريكي ترامب الذي وصفه بـ"الصديق العظيم" والاتفاقيات الاستراتيجية التي وقعت، يظهر معها عزم إدارة ترامب على رفع وتيرة عسكرة الهند وتقوية قدراتها الاستراتيجية لدمجها وإلصاقها بالاستراتيجية الأمريكية تجاه الصين، ومودي هو فرصة أمريكا لتحقيق ذلك. وسبق الزيارة تصريح للخارجية الهندية من أن مودي وترامب سيناقشان تعزيز "كواد" وهو تحالف أمني في منطقة آسيا والمحيط الهادئ لمواجهة الصين يضم أمريكا والهند واليابان وأستراليا. وقد عقد بعد ذلك بتاريخ 21 كانون الثاني/يناير 2025 اجتماع تحالف "كواد" في واشنطن وجدد التزامه بتعزيز أمن منطقة المحيطين الهندي والهادئ، في إشارة إلى أن إدارة ترامب تضع مواجهة الخطر الصيني على رأس أولوياتها الاستراتيجية.
وأعلن ترامب خلال مؤتمر صحفي مشترك مع مودي "اتفقنا على أن تستورد الهند النفط والغاز من الولايات المتحدة". وأشار مودي "من أجل ضمان أمن الطاقة في الهند، سنركّز على التجارة في النفط والغاز... الاستثمار في البنى التحتية للطاقة سيزداد كذلك في مجال الطاقة النووية". وأوضح مودي أن بلاده وأمريكا ستركزان على إنشاء سلاسل توريد قوية للمعادن الاستراتيجية، هذا إلى جانب السعي لمضاعفة حجم التجارة المتبادلة مع أمريكا عدة مرات. كذلك أعلن ترامب أن واشنطن ستبيع نيودلهي مقاتلات من طراز إف-35، لتصبح الهند بذلك واحدة من الدول القليلة التي تمتلك هذه الطائرات فائقة التطور. وشدد على أنه "بدءاً من هذا العام، سنزيد المبيعات العسكرية للهند بمليارات الدولارات. كما أننا نمهّد الطريق أمام تزويد الهند، في نهاية المطاف، بمقاتلات من طراز إف35". وستسمح كذلك صفقة أبرمت أخيراً لشركة جنرال إلكتريك الأمريكية بالشراكة مع شركة هندوستان

أيرونوتيكس الهندية لإنتاج محركات نفاثة للطائرات الهندية في الهند وبيع طائرات بدون طيار مسلحة مصنوعة في أمريكا. كما ذكر البيان المشترك أن "الزعماء أعلنوا عن خطط لتوقيع إطار عمل جديد هذا العام، مدته عشر سنوات، للشراكة الدفاعية الكبرى بين الولايات المتحدة والهند في القرن الواحد والعشرين."

فهذه الاتفاقيات تعتبر اختراقا استراتيجيا كبيرا بالنسبة لأمريكا إذ تمكنها من التحكم والسيطرة في قطاعات استراتيجية حساسة وخطيرة بالنسبة للهند كالطاقة والنووي والمعادن النادرة وسلاح الجو والأمن، وتوظيف الهند في حرب أمريكا الباردة ضد الصين.

الأمر الذي يضع الحدث العسكري الأخير بين الهند وباكستان ضمن النسق العام لسياسة أمريكا لمنطقة أوراسيا وضمن سياق استراتيجيتها، وعنصرا خادما ومساعدا للاستراتيجية وليس عنصر تشويش أو تخريب لها. فالهند الطرف الرئيسي في الاستراتيجية الأمريكية هي من بدأت العملية العسكرية ضد باكستان، واللافت هو سعي الهند لتطويق الحدث وإنهائه منذ اللحظات الأولى، يذكر أن الجيش الهندي قال في بيان إن قواته "شنت ضربة تستهدف البنية التحتية للإرهاب في باكستان وجامو وكشمير الخاضعة للاحتلال الباكستاني، والتي كانت تُخطط وتُوجه منها الهجمات الإرهابية ضد الهند، وفي المجمل، تم استهداف 9 مواقع"، وأضاف: "اتسمت إجراءاتنا بالتركيز والاعتدال وعدم التصعيد، ولم تُستهدف أي منشآت عسكرية باكستانية"، ما يعني أن الغاية من الحدث والدافع له يبحث من خارجه.

كما أن اللافت كذلك هو في حجم خسائر سلاح الجو الهندي والذي يعد كارثة بالنسبة لحدث عسكري محدود لا يرقى لمستوى معركة، فقد علقت سي إن إن الأمريكية على ذلك بالقول "أظهر الصراع الأخير بين الهند وباكستان محدودية سلاح الجو الهندي". وقالت مصادر أمنية باكستانية، إن 3 من أصل 5 طائرات هندية أسقطتها كانت من طراز "رافال". وهي من بين أكثر المقاتلات تطوراً في سلاح الجو الهندي، وقد تم شراؤها خلال السنوات الأخيرة ضمن مساعي نيودلهي لتعزيز قدراتها العسكرية، وكانت الهند تمتلك 36 مقاتلة "رافال" في أسطولها الجوي، تم شراؤها من شركة "داسو للطيران" الفرنسية. وكذلك تم إسقاط طائرة ميغ 29 وطائرة سوخوي 30 روسيتي الصنع، وتعتمد الهند على روسيا في نحو 60٪ من معداتها الدفاعية، وتم أيضاً إسقاط طائرة مسيرة من طراز هيرون.

الأمر الذي يجعل الحدث الأخير بين الهند وباكستان شقاً في سياسة كبرى وليس ردة فعل على حدث أمني عابر، فالاتفاقيات التي عقدها مودي خلال زيارته الأخيرة لأمريكا تعتبر أكبر اختراق أمريكي للنسيج الاقتصادي والعسكري والأمني والاستراتيجي الهندي، وفي خضم التجاذبات والاستقطابات السياسية للطبقة السياسية الهندية يصبح تمرير هكذا اتفاقيات ضربة سياسية موجعة لمودي والنفوذ الأمريكي. فجاء الحدث العسكري الأخير كمسوغ ومبرر لهذه الاتفاقيات، فانتكاسة سلاح الجو الهندي بهذا الحجم يعطي مبررا للاتفاق

العسكري مع أمريكا والحاجة الاستراتيجية لسلاح الجو الأمريكي بعد فشل السلاح الفرنسي والروسي واكتشاف محدوديتهما، ويعطي كذلك مبررا لتوسيع الاتفاق لمجالات دفاعية أخرى بحكم التفوق التكنولوجي الأمريكي. كما أن حرب روسيا وأوكرانيا والعقوبات المفروضة على روسيا تعطي مسوغا لمودي للاستغناء عن السوق الروسية والاعتماد على أمريكا في مجال الدفاع والطاقة، الأمر الذي يساعد على قطع سلاسل التوريد الروسية للهند (الطاقة والدفاع) وهو ما يضعف الروس ويخدم الاستراتيجية الأمريكية.

فيكاد يكون الحدث الأخير بين الهند وباكستان غطاء مودي لإخفاء انخراطه التام في السياسة الأمريكية واستراتيجيتها تجاه الصين وربط الهند وكل قطاعاتها الاستراتيجية بأمريكا.

أن يفعلها هندوسي عابد بقر فلا غرابة، ولكن يبقى الأنكى والأخزى هو انخراط حكام المسلمين الخونة في باكستان في حرب أمريكا ضد إسلامهم العظيم وأمتهم وخدمة لهيمنتها الظالمة الغاشمة، التي يدفع ثمنها من دماء المسلمين وثرواتهم.

معاشر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها: حكامكم كل حكامكم هم عملاء الاستعمار لاستئصال إسلامكم ونسف جمعكم وإدارة حارات الاستعمار نيابة عن عدوكم وخيانة قضاياكم خدمة لأعدائكم، حكامكم كل حكامكم هم أعداؤكم، وهل يعقل في عقل عاقل أن يكون عدوك حاكمك؟!

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

المحتويات

فرصة تاريخية لتحرير كشمير وفلسطين

بلال المهاجر، ولاية باكستان

نداء للمخلصين في الجيش الباكستاني:

بأيد مرتعشة جبانة، ضغط مودي على مكابح إطلاق صواريخ انتقامية ضد باكستان وأهل كشمير العزل، ولم يجرؤ على استهداف القواعد العسكرية الباكستانية، بل استقوى على الأطفال الذين يحفظون القرآن في مدارسهم وعلى المدنيين الآمنين. ودلالات هذا العدوان والمغامرة الهندية هي:

أولاً: على الرغم من أن المُهاجم في الحروب العسكرية يكون في موقع قوةٍ، ويتمتع بخيار انتقاء المواقع الحساسة والمؤلمة للخصم، إلا أن الهند، لجبنها وخوفها من الرد الموجع، اختارت مواقعَ ليست ذات حساسية أو تأثير كبير، خشية استثارة غضب أسود القوات المسلحة الباكستانية، بل بدا واضحاً أنها كانت ضربات لحفظ ماء وجهها بعد حادثة 2025/4/22م.

ثانياً: على الرغم من التصريح الباهت لمحمد شريف شودري، الناطق باسم الجيش الباكستاني، بأن باكستان "سترد في الزمان والمكان المناسبين"، وهو ما يعني تفويت فرصة الرد السريع والرادع قبل تدخل حلفاء الهند لإنقاذها من رد باكستان، مثل أمريكا، إلا أن صد الهجوم وحده كان رداً مُخزياً للهند. فقد تكبدت سقوط خمس مقاتلات حربية، وكأنها ذباب، وقتل وأسر العديد من جنودها، وهذا يؤكد هشاشة وضعف وجبن "الفيل الهندي"، الذي بدا وكأنه فيل من ورق، ويؤكد استعداد وقدرة وبسالة الجندي المجاهد الباكستاني.

ثالثاً: بدون توجيه من القيادة العسكرية، كان رد المجاهدين العفوي والطبيعي من نسور سلاح الجو والمضادات الأرضية والمشاة رداً رادعاً. ولو كان على رأس المؤسسة العسكرية الباكستانية قائد كصلاح الدين أو خالد بن الوليد، لاستثمر الهجوم لتحرير كشمير، وهو أمر ممكن في أيام إن لم يكن في ساعات. ولكن يجب على المخلصين في الجيش الباكستاني تدارك الأمر وعدم السماح بتكرار ما قام به نواز شريف وبرويز مشرّف اللذان قلبا النصر في مرتفعات كارجيل إلى هزيمة!

يجب على المخلصين في المؤسسة العسكرية استثمار الحدث وإعطاء النصرة لحزب التحرير لإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وحينها فقط تمارس القوات العسكرية الباكستانية المجاهدة قدراتها الحقيقية بكفايتها الكاملة في القتال في سبيل الله، لتحرير كشمير واسترداد شبه القارة الهندية إلى كنف الأمة الإسلامية، والزحف نحو تحرير الأرض المباركة فلسطين.

شاهين3 يتغلب على دفاعات أمريكا وكيان يهود "المتطورة":"

إن صاروخ الحوثيين شهاب3 تمكّن من الإفلات من مطاردة صاروخي حيتس2 وحيتس3، وهما من صناعة كيان يهود، وصاروخ ثاد الأمريكي، وضرب حصون يهود وأصابها في مقتل، في أكثر المناطق حساسية وتحصيناً بمضادات الطائرات والصواريخ؛ مطار اللد. وهذا الهجوم المبارك يكشف عن أمرين:

أولاً: أن الدفاعات الجوية، وهي آخر ما توصلت إليه التقنيات الحربية في أمريكا وكيان يهود، والتي يطلق عليها "القبة الحديدية" لحماية كيان يهود، هي في الحقيقة عاجزة عن اعتراض صاروخ باليستي من صنع إيران، الدولة الأقل تطوراً في مجال التصنيع الحربي. فكيف بهذه القبة أن تواجه رشقة من صواريخ شاهين2 أو شاهين3 الباكستانية، وهي أكثر تطوراً، وأطول مدى، وقادرة على حمل رؤوس نووية أو رأس متفجر بوزن ألف كغم؟! فهل يحتاج كيان يهود لأكثر من رشقة من هذه الصواريخ كي تزلزل الأرض تحته، ومن ثم تطهر الجيوش المسجد الأقصى والأرض المباركة من دنس يهود؟!

قال سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

ثانياً: إن العذر الذي يقدمه حكام باكستان وغيرهم من حكام المسلمين العملاء، بأن البعد الجغرافي والحدود السياسية هي التي تعيق نصرتهم لأهل غزة ووقف مجازر يهود، هو عذر باطل. فقد أثبتت إصابة شهاب3 أن المسافة لم تكن يوماً عائقاً حقيقياً، بل يكشف زيف هذا الادعاء ويؤكد تواطؤ النظام الباكستاني وسكوته، بل وإقراره لمجازر يهود في غزة.

لذلك أصبحت الحقيقة واضحة: إن عدو الإسلام والمسلمين، ومن يمنع المسلمين من نصرة بعضهم بعضا، هم حكام المسلمين أنفسهم. فوجب على كل مخلص في الأمة، سواء أكان ضابطاً أو عالماً أو من عامة الناس، أن يعمل مع حزب التحرير للإطاحة بهم، وتحرير فلسطين وكشمير، وتوحيد بلاد المسلمين تحت راية الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة.

المحتويات

جواب سؤال: الدولة العميقة

السؤال:

انتشر تداول مصطلح الدولة العميقة عند السياسيين وفي وسائل الإعلام، ولكن بمتابعة تلك الأقوال يتبين أنها مختلفة، **فهل يمكن توضيح المعنى الراجح لهذه المسألة لنتمكن من فهم الوقائع السياسية ذات العلاقة بهذا المصطلح مع ذكر بعض الأمثلة لزيادة التوضيح.. والمعذرة إن كان طلبي هذه الأمثلة يشغلكم عما تقومون به من أعمال أكثر أهمية وشأنا، ولكم الشكر.**

الجواب:

نعم إن هناك اختلافاً في ما ينشر عن مصطلح الدولة العميقة، فمنهم من يجعلها تعني الطبقات النافذة التي ليست في الحكم، فتعمل سراً ضد النظام القائم، كما كان يحدث في تركيا.. ومنهم من يجعلها القوة المتحكمة في النظام، فتسوس البلاد عندما تريد وإذا ظهرت مشكلة تريد أن تلصق بغيرها فتترك الحكم وتأتي بأخرى تلبسها المشكلة ثم تعود للحكم من جديد، كما يحدث في بريطانيا.. ومنهم من يجعلها صراعاً بين الأحزاب الفاعلة كما يحدث حالياً في عهد ترامب في أمريكا.. ومنهم من يجعلها كالشماعة يعلق عليها ثغرات حكمه وفشله، فيُلحق هذا بما يسميه الدولة العميقة.. ومنهم من يتلاعب بهذا اللفظ كلما أراد أن يشغل الناس بأمر ما، فيذكره بلفظه أو بألفاظ أخرى.. ومنهم من يجعل الدول الاستعمارية هي الدولة العميقة في مستعمراتها.. وحتى يتبين المعنى الراجح في المسألة نستعرض الأمور التالية:

الأمر الأول: بعض التعاريف الواردة عن الدولة العميقة:

1- يصف قاموس ويبستر، أحد أقدم القواميس في العالم، الدولة العميقة على أنها: (شبكة سرية مزعومة من المسؤولين الحكوميين غير المنتخبين بشكل خاص وأحياناً الكيانات الخاصة التي تعمل خارج القانون للتأثير على سياسة الحكومة وعلى تنفيذها. وهذا يعني أنه في ظل الأنظمة والدستور توجد قوة أعمق تسيطر على الأمة. هذه القوة لها أجندتها الخاصة ويمكنها تقويض قرارات الحكومة المنتخبة).

2- وجاء في ويكيبيديا: (الدولة العميقة في تركيا تعرف "بالتركية: derin devlet" بأنها مجموعة من التحالفات المؤثرة المعادية للديمقراطية داخل الهيكل السياسي التركي وتتكون من عناصر رفيعة المستوى ضمن أجهزة الاستخبارات الداخلية والخارجية والجيش التركي ووكالات الأمن والسلطة القضائية والمافيا... تاريخياً تم استخدام العنف ووسائل الضغط

الأخرى بشكل سري إلى حد كبير للتلاعب بالنخب السياسية والاقتصادية وضمان تلبية مصالح معينة ضمن الإطار "الديمقراطي الظاهري" للمشهد السياسي).

3- وبالتدقيق فيما يقصده هؤلاء بمصطلح الدولة العميقة نجد المعنى في وجود قوة خفية داخل جهاز الدولة أو خارجه تتحكم بالنظام السياسي، أي تفرض سياساتها وآراءها وتوجهاتها على السياسيين المنتخبين بشكل قانوني... وهذه القوة الخفية عبارة عن شبكة منظمة من الأشخاص تخترق المراكز الحساسة كالقوى العسكرية والأمنية والسياسية، وتعمل بشكل مستقل عن الحكومة المنتخبة... وأحياناً تستخدم مصطلحات مختلفة للإشارة إلى هذه الشبكة... مثل "الدولة العميقة"، أو "الدولة الموازية"، أو "الدولة الظل"، أو "الدولة داخل الدولة"...

4- وهناك تعريف آخر مغاير يطلقه السياسي المهزوم أو المنهزم في الحكم أو الانتخابات، يتخذه شماعة يعلق عليها فشله في الحكم أو الانتخابات.. وبعبارة أخرى فهو مفهوم مضلل، ويستخدم لتبرئة الحكام في حالة انتشار الفساد والظلم في البلد أو ارتكاب الخيانات، فهو خدعة من الحاكم يلقي فيها اللوم على أشخاص في الخفاء يسميهم الدولة العميقة، ومن ثم يضلل الناس عن كونه المسئول ويجب تغييره.

5- وهناك القول بأن الدول الاستعمارية هي الدولة العميقة في مستعمراتها فهي تتحكم في أنظمة مستعمراتها فتبقي هذا الحاكم وتزيل ذاك.

الأمر الثاني: التعريف الراجح

1- وبالتدقيق في هذه التعاريف وتدبر ما جاء فيها فإن التعريف الأرجح هو أن الدولة العميقة في بلد ما تعني أن هناك قوة مؤثرة سواء أكانت قوى سياسية أم اقتصادية أم عائلات أرستقراطية نافذة من أهل تلك البلد في الداخل أو في الخارج.. ليست رسمياً في أجهزة الحكم وإنما هي تؤثر في الدولة في الخفاء أو في السر.. ويكون لها ضغط مؤثر فاعل على أجهزة الحكم الرسمية لتنفيذ ما تريد، أو تغييرها.

2- أما تضليل الناس من الحاكم لإبعاد تهمة الفساد عنه وإلصاقها بجهة أخرى يسميها الدولة العميقة، أي شماعة يعلق عليها سوء فعاله في الحكم وفساده، فتسمية هذا التضليل بالدولة العميقة ليس صواباً، وذلك لأنها خديعة من صنع الحاكم وليست من جهات أخرى ضده.

3- وأما اعتبار الدول الاستعمارية هي الدولة العميقة فهو كذلك مجانب للصواب لأن الدول الاستعمارية هي التي تتحكم في مستعمراتها وهي أجنبية عنها وليست قوى أخرى

من أهل البلاد تعمل في السر خفية عن القوى المنتخبة الحاكمة التي هي أيضاً من أهل البلاد.

الأمر الثالث: أمثلة لاستعراض الدولة العميقة في بعض الدول زيادة في التوضيح:

1- تركيا

أ- إن منشأ مصطلح الدولة العميقة قد خرج من تركيا. ففي نهاية الدولة العثمانية قام ضباط ينتمون لجماعة الاتحاد والترقي الذين تأثروا بالأفكار الغربية بانقلاب عام 1909 وأطاحوا بالخليفة عبد الحميد الثاني وعينوا أخاه محمد رشاد خليفة بصلاحية دون صلاحيتهم.

* **فكانت هذه بداية ظهور طبقة أقوى من الخليفة** وتؤثر في بقائه أو سقوطه بشكل ظاهر وليس خفيا، ولكن لم يسقطوا الخلافة والحكم بالإسلام. فهم في الحقيقة ليسوا دولة داخل دولة أي بمعنى دولة عميقة خفية، فهم في الدولة ظاهرون، ولكنهم متسلطون على الحكم.

ب- وبعد الحرب العالمية الأولى تمكن مصطفى كمال الموالي للإنجليز من السيطرة على الحكم ومن ثم تمكن من هدم الخلافة وإسقاط الشريعة والعمل بقوانينها، وقد أعلن الجمهورية وبناها على أسس علمانية وقام بانقلاباته على الحكم بالإسلام، بل وعلى مظاهر الإسلام مثل ما يعرف بانقلاب "الحرف" وهو تغيير أحرف اللغة التركية من عربية إلى لاتينية، أو انقلاب "اللباس" الشرعي ليحل محله اللباس الغربي وغير ذلك.. وهكذا أسس الجيش والقوى الأمنية بمقاييس معينة لحماية الجمهورية والعلمانية، ولمنع عودة الإسلام إلى الحكم وإقامة الخلافة من جديد.. فأصبح الجيش قوة مسلطة على الحكم يتدخل كلما رأى أن هناك انحرافا عن الكمالية بجانب الحفاظ على التبعية لبريطانيا.. وكان طغيان الحكم الكمالي والدعم البريطاني حائلين دون ظهور دولة عميقة ضد هذا الحكم.

ج- ولما جاء أردوغان لحكم تركيا بزخم نتائج صندوق الانتخابات، وبدعم أمريكي سياسي ومالي واقتصادي، كان يدرك قوة جنرالات الجيش حراس العلمانية التابعين للإنجليز وأنهم يمثلون عصب الدولة ويمكنهم إن شاؤوا الانقلاب عليه، لذلك كان يعلي من قيم الديمقراطية والحرية ويحاصرهم بقوة الشرعية الشعبية لمنعهم من الانقلاب عليه، وكانت أمريكا تُسيل لعاب الأتراك عبر شرايينها المالية والاقتصادية، وكان أردوغان يهاب من هؤلاء العسكر ولا يقوى على إقالتهم لكثرتهم وتمكنهم من عصب الجيش عبر سنين، لكنه سرعان ما أوجد واقعاً جديداً في الحياة التركية عنوانه البارز "الديمقراطية" والنجاح الاقتصادي، فشكل ذلك مانعاً من الانقلاب.

*** وأثناء هذه الفترة فقد كان الوصف بوجود "دولة عميقة" في تركيا تعمل في الخفاء من داخل أجهزة الدولة وخاصة الجيش فتمانع وتعارض وتحاول أن تفشل توجهات رئيس الوزراء المنتخب أردوغان، كان وصفاً صحيحاً**، وكان هؤلاء بمثابة شبكة لا تظهر معالمها لأصحاب النظرة السطحية الذين يظنون بأن الأمور تسير بشكل مثالي وأن الجميع ملتزمون بالدستور والقانون، وهذه الشبكة التركية بالإضافة إلى عشعشتها داخل أجهزة الجيش والقضاء والوزارات كانت متصلة بالأحزاب العلمانية التي كانت خارج الدولة وتمثل المعارضة، وكانت متصلة بالمركز في لندن، فكان رجالها يجتمعون سراً ويتشاورون ويتداولون مسائل نظام حكم أردوغان حتى قرروا القيام بانقلاب سنة 2016 إلا أنه كان غير ناجح، ومن ثم اتخذ أردوغان من ذلك مبرراً فقام باجتثاثهم من الجيش، ومعهم أتباعهم من القضاء والوزارات حتى وصلت عملية التطهير أساتذة الجامعات، وبذلك نجح أردوغان في اجتثاث الدولة العميقة التابعة للإنجليز داخل الجيش التركي وأوشك على إنهاء وجودها، ولكن بقي لهم أتباع، وإن كانوا أضعف من ذي قبل، يحاولون إعادة سيرة وصف "الدولة العميقة" في وجه النظام.

2- الولايات المتحدة

أ- إن الحكم في أمريكا ينقسم إلى مستويين فعليين، حيث يظهر المستوى الأول ممثلاً للشرعية الشعبية عاملاً لتحقيق إرادة الشعب الذي انتخب هذا الرئيس وهؤلاء النواب، فيكون مظهر الدولة مظهراً "ديمقراطياً"، ولكن هذا المستوى الشرعي لا يمكنه قيادة سياسات البلاد إلا وفق ما يريده المستوى الثاني، وهو مستوى باطن غير ظاهر وغير منتخب، أي غير شرعي وفق النظام "الديمقراطي"، وهو ما يطلقون عليه "الدولة العميقة"، وأفراد هذا المستوى، أي ممثلو الدولة العميقة هم أشخاص يحتلون مناصب حساسة في أجهزة الدولة، ولا يمكن للأجهزة التي يسيطرون عليها أن تندفع وفق توجهات المستوى الأول إلا عن طريقهم، لأن مراكزهم حساسة، وهؤلاء الأشخاص في أمريكا هم إما من كبار الرأسماليين أو ممثلين عنهم، إذ يحرص كبار الرأسماليين في أمريكا على أن يكون كبار الموظفين في أجهزة الدولة يدافعون عن مصالحهم، ويبقوا على ارتباط مستمر بهؤلاء الموظفين من أجل تسيير مصالحهم، فمثلاً تحرص شركات المال على أن يكون لهم أتباع من موظفي دوائر الضريبة، فيما تحرص شركات الأسلحة على أن يكون لهم أتباع في البنتاغون ودوائر التعاقدات العسكرية في وزارة الخارجية، وتحرص شركات الأدوية على أن يكون لهم أتباع في دوائر وزارة الصحة ودوائر التأمين الحكومية، وهكذا ومع مرور وقت طويل فقد نجحت الشركات الكبرى بالسيطرة الفعلية على الدولة في أمريكا عبر هؤلاء الموظفين في المراكز الحساسة وعبر لوبيات الضغط.

ب- هذه هي حقيقة النظام السياسي في أمريكا، وعليه فإن كبار الرأسماليين والشركات الكبرى هم منبت الدولة العميقة في أمريكا وجذرها الحي، وهي القوة الكامنة المخفية التي تقف خلف التوجهات السياسية للدولة، وهي التي تحرك الموظفين في المناصب الحساسة لمناهضة توجهات الدولة إذا خالفت مصالح تلك الشركات، وهي بهذا الوصف تقع خارج جهاز الدولة وداخله وتنشط في قطاع المال والأعمال والصناعة، ولكن حركتها تظهر داخل أجهزة الدولة في أمريكا.

ج- ولما جاء دونالد ترامب سنة 2016 رئيساً وجد أمامه تململاً من كبار موظفي الدولة والوكالات المختلفة خاصة الوكالات الأمنية، وأحس بممانعتهم لسياساته ومعارضتهم لها، ثم تطورت إلى مقاومة شديدة من داخل الدولة في أمريكا أشبه بالعصيان، وكثرت عمليات تسريب المعلومات المحرجة له من أجهزة الأمن والمخابرات... ثم رفعت ضده قضايا كثيرة أشهرها الدعم الروسي له في الانتخابات، وثارت التحقيقات ومحاولات العزل في الكونغرس حتى صارت وزارة العدل الأمريكية من أشد أعدائه بشكل مكشوف، ولم يكن الهجوم عليه من داخل الدولة فقط، فقد امتنعت شركات الأدوية التي توصلت لاكتشاف لقاح كورونا عن الإعلان عن هذه الاكتشافات إلا بعد الإعلان عن فوز بايدن بالانتخابات نهاية سنة 2020، أي لمنع استفادة ترامب انتخابياً من تلك الاكتشافات.. ثم إن الرئيس ونتيجة معاناته مع هذه القوة الخفية المنظمة التي تعمل ضده قد شكك بنتيجة الانتخابات ولم يعترف بها واعتبرها مزورة وأن الفوز قد سرق منه وأضاف لجنة الانتخابات الحكومية إلى قائمة أعدائه. **وقال ترامب بعد خروجه من الرئاسة أمام حشد من أنصاره في تكساس عام 2023: "إما أن تدمر الدولة العميقة أمريكا أو ندمر الدولة العميقة". وبالتدقيق في هذا الواقع الأمريكي أثناء إدارة ترامب الأولى وذلك الوصف بوجود قوة خفية في أمريكا تمنع الرئيس المنتخب من التغيير نجد أن هذا الوصف هو وصف لواقع حقيقي في نظام الحكم في أمريكا.**

د- وفي 21 آذار/مارس 2023، أعلن ترامب في مقطع فيديو عن خطة من 10 نقاط وقال في الفيديو: ("بهذه الطريقة سأحطم الدولة العميقة وأعيد الحكومة لتكون تحت سيطرة الشعب ومن أجل الشعب"... ديلي ميل البريطانية، 2023/3/21).

هذه هي حقيقة النظام السياسي في أمريكا، وعليه فإن كبار الرأسماليين والشركات الكبرى هم منبت الدولة العميقة في أمريكا وجذرها الحي، وهي القوة الكامنة المخفية التي تقف خلف التوجهات السياسية للدولة، وهي التي تحرك الموظفين في المناصب الحساسة لمناهضة توجهات الدولة إذا خالفت مصالح تلك الشركات، وهي بهذا الوصف تقع خارج جهاز الدولة وداخله وتنشط في قطاع المال والأعمال والصناعة،

ولكن حركتها تظهر داخل أجهزة الدولة في أمريكا.

3- بريطانيا

وأما بريطانيا، ففيها دولة عميقة، وذلك أن نظام الحكم فيها إنما يمثله المحافظون، وهم عائلات بريطانيا الأرستقراطية وكبار أغنيائها، وهم حكام بريطانيا الحقيقيون، ولكن توجهاتهم المعلنة توصل الدولة في بعض الأحيان إلى الأزمات، أي أنها تضر أحياناً بمصالح الدولة لذلك يقوم حزب المحافظين بالاستراحة ويحكم البلاد حزب العمال، فتكون مهمة حزب العمال حل الأزمات ووقف الإضرار بمصالح الدولة، ثم يتنحى، وما شاهدناه في الفترة الأخيرة من هزيمة مدوية لحزب المحافظين وفوز كاسح لحزب العمال إنما هو من صنيعة المحافظين، فبريطانيا بعد "بريكست" تمر بأزمة اقتصادية شديدة، بل إن خروجها من الاتحاد الأوروبي كان نتيجة حساباتها الخاطئة في الاستفتاء البريطاني على أوروبا، ولما كان المحافظون هم من قاموا بصناعة هذه الأزمة والتسبب بها فإن حزب العمال اليوم مطلوب منه أن يعالجها.

فالدولة العميقة في بريطانيا هي العائلات العريقة والأغنياء، وهم حكام بريطانيا دائماً، وإذا تنحوا جانباً وجاؤوا بحزب العمال فمن أجل حل أزمة تسبب بها المحافظون، و"الدولة العميقة" في بريطانيا تسيطر على الحكم سيطرة سهلة وسلسلة، بمعنى أن عائلات بريطانيا العريقة وأغنياءها هم منبت الحكم وحراسه سواء أكانوا يمارسونه أم أنهم "استأجروا" حزباً آخر ليمارسه، ولأجل استمرار تلك السيطرة بتلك السلاسة والسهولة فإن "منبت الحكم الفاعل" في بريطانيا و"جذرها الحي" يبث القيم التي ترفض التغيير فتعلي من شأن العراقة والاعتزاز بالقديم.. وهذا ما يلاحظ في بريطانيا من شدة الاهتمام الشعبي بالعائلة المالكة وأخبارها وقصصها وأعياد ميلاد أمرائها وطريقة معيشتها...!

والخلاصة:

*** الدولة العميقة هي قوة مؤثرة في الحكم القائم وأنها شبكة من أهل البلد في الداخل أو في الخارج، تعمل سراً أو في الخفاء ضد الطبقة الحاكمة في ذلك البلد لتغييرها أو إضعافها.**

*** أما إذا كانت هذه الشبكة ليست من أهل ذلك البلد بل كانت قوة أجنبية عنه مثلاً دولة استعمارية تعمل ضده، أو دولة معادية ضده، فهذه القوى لا تعتبر دولة عميقة، بل يندرج بحثها في باب الاستعمار أو الحرب والعدوان.**

*** وكذلك إذا كانت هذه الشبكة معدة من الطبقة الحاكمة بأن ينسب إليها العمل ضد الدولة ومخططاتها لإبعاد التهمة عن الحاكم ونقلها إلى شبكة وهمية من صنعه من باب خداع الناس عن فساد الحاكم وعجزه فكذلك لا تعتبر هذه دولة عميقة.**

*** وخلاصة الخلاصة أنها شبكة من أهل البلد في الداخل أو الخارج تعمل ضد النظام القائم في ذلك البلد لتغييره أو إضعافه، وبهذا المعنى فهي لا تكون إلا في الدول التي تحتكم إلى القوانين الوضعية، حيث يتأتى أن يكون فيها شبكات في الداخل أو في الخارج تختلف في نوع الحكم الذي تريد فيحدث التنازع بينها في نوع الحكم الوضعي المطلوب.**

*** أما إذا كان الحكم قائماً على تشريع من رب العالمين، فالمسلمون سواء أكانوا في الداخل أم كانوا في الخارج، فلا يكون بينهم دولة عميقة تعمل لتغيير حكم الإسلام بأحكام أخرى مختلفة، إلا أن يكون المسلمون العاملون في الداخل أو الخارج مدفوعين بقوة خارجية مستعمرة أو عدوانية وفي هاتين الحالتين لا تكون دولة عميقة كما ذكرنا آنفاً.**

ولذلك فما يلاحظ من تغيرات أو انقلابات في بعض بلاد المسلمين كما حدث أو ما يحدث في باكستان أو بنغلادش أو مصر... إلخ، فلا توصف الجهات وراء تلك الانقلابات بأنها دولة عميقة لأن الاستعمار هو الذي يحرك الأحداث في الدول العميلة له.

*** أما إذا كانت هناك حركة في بلاد المسلمين التي تحتكم للقانون الوضعي، وهذه الحركة تعمل لتغيير الحكم الوضعي في بلاد المسلمين إلى حكم الإسلام، الخلافة الراشدة، فهذه الحركة لا تسمى دولة عميقة، بل أهل نصرة لله سبحانه ولرسوله ﷺ.**

وإننا لنسأل الله سبحانه العون والتوفيق لإقامة الخلافة الراشدة من جديد فيعز الإسلام والمسلمون ويذل الكفر والكافرون: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

السادس من ذي القعدة 1446هـ

2025/5/4م

المحتويات

جواب سؤال: الهند وباكستان ووقف إطلاق النار

السؤال:

أعلن ترامب أمس السبت على نحو مفاجئ في منشور عبر منصته تروث سوشيال أنه ("بعد ليلة طويلة من المحادثات التي توسطت فيها الولايات المتحدة يسعدني أن أعلن أن الهند وباكستان اتفقتا على وقف إطلاق نار شامل وفوري "مشيدا بالبلدين" للجوئهما إلى المنطق السليم والذكاء العظيم... الجزيرة، 2025/5/11). وكانت حدة التوتر قد تصاعدت بين الهند وباكستان في أعقاب الهجوم الذي استهدف السياح في وادي بايساران بمنطقة باهالغام في جامو وكشمير الخاضعة للإدارة الهندية بتاريخ 22 نيسان/أبريل 2025، والذي أسفر عن مقتل 25 هندياً ونيبالي واحد.. وفي 23 نيسان/أبريل 2025، أعلنت الهند تعليق العمل باتفاقية مياه نهر السند الموقعة عام 1960 كجزء من سلسلة إجراءات عقابية ضد باكستان. ورداً على ذلك، أعلنت باكستان تعليق العمل باتفاقية شيملا لعام 1972 التي تنظم العلاقات الثنائية. وفي 7 أيار/مايو، أعلنت الهند عن تنفيذ عملية عسكرية تحت اسم "عملية سيندور".. ثم ردت باكستان.. والآن كما أعلن ترامب أن وساطته نجحت في وقف إطلاق النار.. فما هي حقيقة هذا التوتر والصراع؟ وما هي تحديداً اتفاقية مياه السند التي قامت الهند بتعليقها بشكل مؤقت؟ وهل لأمريكا يد في بدء الهجوم كما لها يد في وقفه؟

الجواب:

حتى يتضح الجواب على هذه التساؤلات، لا بد من استعراض الوقائع التالية:

1. حزب بهاراتيا جاناتا، الذي وصل إلى السلطة في الهند برئاسة أتال بيهاري فاجبايي في الفترة من 1998 إلى 2004، ثم عاد إلى السلطة برئاسة ناريندرا مودي في عام 2014 بعد 10 سنوات من حكم حزب المؤتمر الموالي لبريطانيا، هو حزب موالٍ لأمريكا، كجزء من استراتيجيتها الأوراسية، أي لمواجهة الصين وتطويقها.. ومن الواضح أن المصالح الأمريكية العاجلة في الشرق الأقصى كانت وراء انتصار مودي الهندوسي المتعصب في عام 2014 وهي ما زالت تدعمه.. وقد حقق ناريندرا مودي المصالح الأمريكية دائماً، سواء أكان ذلك في ضم كشمير في عام 2019، أم كان في الاشتباكات الحدودية التي خاضها مع الصين في أعوام 2014 و2017 و2020، أم كان في أفغانستان، أم في إفشال الممر الاقتصادي الصيني الباكستاني.

2. بعد وصول مودي إلى السلطة في الهند عام 2014، استخدمت أمريكا الهند بشكل فعال لزيادة الضغط على الصين، وتطويقها، ومنعها من السيطرة على المناطق المحيطة بها، وحصرها داخل أراضيها.. خاصة وأن أمريكا قد أعلنت حرباً اقتصادية على الصين فقد فرض

ترامب رسوماً جمركية باهظة على البضائع الصينية. ويهدف ترامب من خلال هذه الرسوم الجمركية الإضافية إلى إضعاف الاقتصاد الصيني. فقد انتشرت أخبار تفيد بأن شركات التكنولوجيا الكبرى، مثل شركة آيفون، تعتزم نقل مصانعها إلى الهند نتيجة للزيادة الكبيرة في الرسوم الجمركية. (كشفت شركة آبل أنها تخطّط لنقل عمليات تجميع جميع هواتف آيفون التي تباع في الولايات المتحدة إلى الهند، وفق ما أفادت صحيفة "ذا فايننشال تايمز"... يورو نيوز، 2025/4/26) وهكذا فإنه في إطار استراتيجيتها لمواجهة الصين، تسعى الولايات المتحدة إلى تعزيز مكانة الهند كقوة اقتصادية وعسكرية في المنطقة.

3. وكان هذا يقتضي من جانبٍ دعمَ الهند بوسائل القوة العسكرية والاقتصادية.. ومن جانبٍ آخر حلَّ مشاكل الهند مع باكستان، والنظامان فيهما مواليان لأمريكا وعملاء لها.. وذلك لتتفرغ الهند إلى الجانب الصيني:

أما الجانب الأول: فقد دعمت أمريكا الهند وجيشها بكل الوسائل مثل نقل التكنولوجيا النووية الأمريكية للهند.. وقد كان موضوع مواجهة الصين حاضراً بقوة أثناء اجتماع ترامب مع رئيس وزراء الهند في واشنطن: (ناقش الزعيمان أيضا تعزيز "التحالف الرباعي" الأمني في منطقة آسيا والمحيط الهادئ الذي يضم كذلك اليابان وأستراليا. ومن المقرر أن تستضيف الهند في وقت لاحق هذا العام زعماء المجموعة التي ينظر إليها باعتبارها ثقلا موازنا للنشاط العسكري الصيني المتنامي. رويترز، 2025/2/14).

وأما الجانب الثاني فكان أبرز هذه المشاكل:

أ- القوات الباكستانية على الحدود تحد من انتقال القوات الهندية نحو الجبهة الصينية، ولذلك فإن أمريكا دفعت باكستان لنقل قواتها من الحدود الهندية إلى المناطق القبلية في وزيرستان لمقاتلة حركة طالبان باكستان، وفي بلوشستان لمقاتلة جيش تحرير بلوشستان، وإلى الحدود الأفغانية، حتى تتمكن الهند من التحرك بحرية في مواجهة الصين ونقل جيوشها إلى الحدود الصينية بدلاً من نشرها على الحدود الباكستانية. ثم أخذت أمريكا تطلب من باكستان تقديم التنازل تلو التنازل للهند من أجل تسهيل انسحاب الهند من المواجهة مع باكستان ووضعها في المواجهة مع الصين.. ومن أجل ذلك كما قلنا آنفاً قامت باكستان بنقل الكثير من فرقها العسكرية من الحدود مع الهند ووظفتها في الاقتتال الداخلي في باكستان ضد الجماعات الجهادية، ... وأخذت تشتبك مع حركة طالبان في أفغانستان.

ب- النزاع حول كشمير، وقد ضمتها الهند بقرارها في 2019/8/5.. قلنا في جواب سؤال 2019/8/18:

-)بعد فترة وجيزة من أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، ركزت إدارة بوش على الهند، وكانت نسبة كبيرة من الإجراءات الأمريكية موجهة نحو سد الفجوة العسكرية بين الهند والصين وفق البرامج الأمريكية، ومنها اتفاق أمريكا النووي مع الهند...

-لقد رأت أمريكا أن التوترات بشأن كشمير بين الهند وباكستان تؤثر في إضعاف مواجهة الهند ضد الصين... وللتغلب على هذه التوترات، بدأت الولايات المتحدة بعملية التطبيع بين الهند وباكستان، وكان الهدف من التطبيع هو تحييد القوات الهندية والباكستانية من قتال بعضها بعضاً بسبب كشمير، وتوجيه الجهود نحو التعاون مع الولايات المتحدة في نهاية المطاف لتقييد صعود الصين. وكانت تظن أمريكا أن ضم كشمير للهند وضغط أمريكا على النظام في باكستان لمنعه من إرجاعها عسكرياً ونقل الموضوع للحوار سيميت القضية ويمنع النزاع العسكري بينهما كما هو حال سلطة عباس في فلسطين والدول العربية حولها دون نزاع عسكري مع دولة يهود في الوقت الذي هم فيه يحتلون ويضمون ما شاءوا من فلسطين! وهكذا بدأ مودي بخطة ضم جامو وكشمير والتغيير السكاني فيها ومن ثم كان القرار الذي اتخذه مودي في 2019/8/5 بإلغاء المادة 370 من دستورهم المتعلق بكشمير..) ظناً من أمريكا أن الضم سينسي المسلمين كشمير وتصبح الهند وباكستان دونما مشاكل بينهما على اعتبار أن النظامين يسيران معا حالياً في الخط الأمريكي، ونسيت أمريكا أو تناست هي والهند أن كشمير هي في قلب المسلمين وستعود بإذن الله..

ج- مشكلة تقاسم المياه مع باكستان، فأرادت الهند إعادة النظر في اتفاقية مياه السند القائمة، فالهند تسعى منذ زمن إلى إعادة النظر في اتفاقية مياه السند الموقعة عام 1960 بوساطة البنك الدولي عقب مفاوضات استمرت تسع سنوات، متذرعة بالنمو السكاني المتسارع، في حين ترفض باكستان أي إعادة للتفاوض بشأنها. ذكرت صحيفة India" "Today، نقلا عن مصادر مطلعة لم تسمها، (أن الهند أوقفت تدفق المياه من سد باغليهار على نهر تشيناب إلى باكستان. وأشارت الصحيفة إلى أن الهند تخطط أيضا لقطع تدفق المياه من سد كيشانغانغا على نهر غيلوم. الأناضول، 2025/5/5) وبالنظر إلى هذا التعليق الأحادي للاتفاقية من قبل الهند ومطالبتها المستمرة بمراجعتها على مدى سنوات طويلة، يمكن تفسير إقدام حكومة مودي على تعليق الاتفاقية بعد هجوم باهالغام بأنه محاولة للضغط على باكستان وإرغامها على مطلب المراجعة. (في السنوات القليلة الماضية، سعت حكومة رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي إلى إعادة التفاوض على المعاهدة، وحاولت الدولتان تسوية بعض خلافاتهما في المحكمة الدائمة للتحكيم في لاهاي بشأن حجم منطقة تخزين المياه في محطتي كيشينجانجا وراتل للطاقة الكهرومائية... عربي21، 2025/04/27)

ومن الجدير ذكره أن اتفاقية مياه السند (ISA) تمثل معاهدة لتوزيع المياه بين دولتي الهند وباكستان، وقد جرى إعدادها والتفاوض بشأنها تحت رعاية البنك الدولي، وقد شهدت مدينة كراتشي في التاسع عشر من شهر أيلول/سبتمبر لعام 1960 مراسم توقيع هذه الاتفاقية المهمة، وقد مُنحت باكستان حقوق الانتفاع بمياه ثلاثة أنهار في الجزء الغربي من

حوض السند (نهر جهيلوم، ونهر تشيناب، ونهر السند نفسه)، بينما احتفظت الهند بالسيطرة الكاملة على مياه الأنهار الشرقية الثلاثة (نهر ستلج، ونهر بياس، ونهر رافي).

د- الحركات الجهادية في كشمير، فقد كانت تسبب قلقاً للهند فأرادت أمريكا افتعال قتال هناك كمبرر لهجوم هندي على جذور تلك الحركات في كشمير ومحاولة إشراك النظام الباكستاني في الهجوم على تلك الحركات في باكستان.. وكان ذلك في مرحلتين:

الأولى: افتعال هجوم في كشمير تنسبه إلى تلك الحركات تتخذه مبرراً لعمل عسكري كبير ضد مراكز هذه الحركات في باكستان كما تقول.. وضد جذور تلك الحركات في كشمير وضد المسلمين فيها لقتلهم أو تهجيرهم بحجة تأييدهم لتلك الحركات كما يفعل يهود في غزة بمجازرهم في أهلها بحجة دعم المقاومة.. ثم إحراج النظام في باكستان فلا ينصر كشمير لأن الهجوم بدأته تلك الحركات!

وهكذا بدأت الهند بأمر أمريكا بهذا الهجوم المصطنع في كشمير.. والدليل على ذلك:

-إن الهجوم الذي استهدف السياح في وادي بايساران بمنطقة باهالغام في كشمير الخاضعة للإدارة الهندية في 22 نيسان/أبريل 2025، والذي تزعم الهند أنه نفذته مجموعة مسلحة مدعومة من باكستان، بينما تنفي باكستان ذلك، هذا الهجوم حصل في كشمير في 2025/4/22 أثناء وجود نائب الرئيس الأمريكي دي فانس في نيودلهي، (وصل "جيه.دي فانس" نائب الرئيس الأمريكي إلى الهند اليوم، الاثنين، في مستهل زيارة تستغرق أربعة أيام، يجري خلالها محادثات مع رئيس الوزراء "ناريندرا مودي". وكالة أنباء البحرين، 2025/4/21)، واتخذت الهند كل إجراءاتها الأولية ضد باكستان بما في ذلك تعليق معاهدة نهر السند أثناء وجود هذا المسؤول الأمريكي في نيودلهي، الأمر الذي يدل على تنسيق أمريكا مع الهند، ولا يجوز على الإطلاق الظن بأن كل ذلك محض صدفة.

-إسراع الحكومة الهندية إلى توجيه الاتهام لباكستان عقب وقوع الهجوم في الثاني والعشرين من نيسان/أبريل بدقائق معدودة، وقبل الشروع في أي تحقيقات أو أعمال بحثية، وذلك على الرغم من مطالبة باكستان بإجراء تحقيق دولي في الحادث، فضلاً عن التغطية الإعلامية الهندية التي سارعت إلى الإشارة إلى الجبهة المقاومة(TRF) ، التي تعتبر جناحاً تابعاً لتنظيم لشكر طيبة(LET) ، مع إعلان التنظيم نفيه الوقوف وراء الهجوم، كل ذلك يدل على أنها عملية "مصطنعة". (وتبنت "جبهة المقاومة" الهجوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ثم تنصلت منه لاحقاً، مبررة ذلك بالقرصنة الإلكترونية... موقع 24، 2025/04/30)

ثم بدأت المرحلة الثانية، فشنت الهند هجوماً بالصواريخ على باكستان مساء 2025/5/6 ولم تقتصر على الجزء الباكستاني من كشمير كما جرت العادة، بل ضربت أهدافاً في إقليم البنجاب أيضاً، ولم ترد باكستان بضرب أهداف داخل الهند واكتفت بالاشتباكات الحدودية

وإسقاط طائرات للهند على الحدود، وحاولت الهند تخفيف وقع الهجوم على باكستان فقالت بأنها لم تهاجم أهدافاً للجيش الباكستاني وهاجمت "إرهابيين" فقط... التلفزيون العربي، 2025/5/7)، واستمرت الاشتباكات تتصاعد بين الطرفين، (اندلعت اشتباكات عنيفة على طول خط السيطرة في كشمير بين القوات الهندية والباكستانية، وسمع دوي انفجارات على طول خط السيطرة بكشمير وسط أنباء عن قتلى، وفق وسائل إعلام هندية... العربية، 2025/5/9)، واعترفت بسقوط 3 طائرات لها، وأعلنت عن مقتل 7 مدنيين في كشمير التي تسيطر عليها جراء هجمات باكستانية. بينما ذكرت باكستان أنها أسقطت 5 طائرات هندية منها ثلاث من طراز رافال الفرنسية وكذلك 25 مسيرة من صنع كيان يهود، وقال رئيس وزراء باكستان شهباز شريف (كنا نستطيع أن نسقط 10 طائرات مقاتلة هندية، خلال الرد على الهجوم الهندي الذي استهدف مواقع باكستانية لكن قادة الجيش مارسوا ضبط النفس فأسقطوا 5 طائرات"... الشرق للأخبار، 2025/5/7) وأعلن المتحدث باسم الجيش الباكستاني أحمد شريف شودري أن الجيش قصف 26 منشأة عسكرية وحلقت عشرات الطائرات المسيرة فوق مدن هندية رئيسية بما فيها العاصمة نيودلهي"... سكاي نيوز، 2025/5/10). فيظهر أن الباكستان كانت قادرة على شن هجوم كبير واسع وأن تدخل في مواجهة مع الهند وتهزمها. ولكنها مرتبطة بأمريكا التي لا تسمح لها بالقيام بمثل هذه المجابهة وأن تلحق بالهند هزيمة نكراء فتؤدي إلى سقوط عميلها مودي.. ومع أن أمريكا استطاعت الضغط على النظام العميل لها في باكستان فيكتفي بالرد المحدود على العدوان الهندي إلا أن ما ظهر من هذا الرد المحدود يدل على بطولة الجند المسلم في باكستان وقوة اندفاعهم للقتال حتى إنهم رغم تواطؤ النظام في باكستان مع أمريكا والتقييد على تحرك الجيش إلا أن هذا الجيش المسلم ألحق بالعدو المشرك خسائر مؤثرة كما ذكرنا آنفاً.. وكل هذا دفع أمريكا أن تنهي خطة القتال كما بدأتها وتلجأ إلى إيقاف العدوان كما بدأته وتغير خطة القتال إلى الخبث السياسي التفاوضي بين نظامين مواليين لها الهند وباكستان، فتحقق للهند ما لم تستطع تحقيقه لها بالعدوان العسكري...

4. ولذلك فبعد أربعة أيام من بدء الهجوم الهندي أعلن يوم 2025/5/10 عن وقف لإطلاق النار بأوامر أمريكية. فكتب الرئيس الأمريكي ترامب على منصته تروث سوشيال يوم 2025/5/10 ("بعد ليلة طويلة من المحادثات بواسطة الولايات المتحدة، يسرني أن أعلن أن الهند وباكستان اتفقتا على وقف لإطلاق النار بشكل شامل وفوري. أهنئ كلا البلدين على استخدام المنطق السليم والذكاء العالي. أشكركم على اهتمامكما بهذا الأمر"). وقال وزير خارجية أمريكا ماركو روبيو على منصة إكس يوم 2025/5/10 "إن الحكومتين الهندية والباكستانية اتفقتا على وقف إطلاق نار فوري وبدء محادثات حول مجموعة واسعة من القضايا في مكان محايد" وأضاف أنه ونائب الرئيس جيه دي فانس عملا مع

رئيسي الوزراء الهندي ناريندرا مودي والباكستاني شهباز شريف ووزير الشؤون الخارجية الهندي سوبرامانيام جايشانكار ورئيس أركان الجيش الباكستاني عاصم منير ومستشاري الأمن القومي الهندي أجيت دوفال والباكستاني عاصم مالك على مدى اليومين الماضيين للتوصل إلى اتفاق"). أي أن أمريكا لم تقدر بطولة الجيش الباكستاني رغم ولاء قيادته لها فخشيت على مودي من استمرار القتال فيفقد حكمه بدل أن يؤدي ما طلبته أمريكا منه في مواجهة الصين! ومن ثم أمرت بوقف الحرب واللجوء إلى الخبث السياسي بتحقيق أهدافها بالمفاوضات بين نظامين مواليين لها!

5.وفي الختام فإن حزب التحرير يحذر المسلمين بعامة وأهل باكستان بخاصة من أن الخبث السياسي والمفاوضات التي تجري مع أعداء الإسلام والمسلمين وخاصة المشركين الهندوس في الهند واليهود في فلسطين، هذه المفاوضات لا تنتج خيراً وخاصة إذا كانت أمريكا الكافرة المستعمرة هي التي تديرها كما هو حادث الآن، فهم يحاربون الله ورسوله في كل زمان ومكان.. وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بقتالهم والنصر عليهم وفي ذلك الأجر العظيم.. أخرج مسلم في صحيحه عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ...»**، وأخرج أحمد والنسائي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللهُ مِنَ النَّارِ؛ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام»** فقتال اليهود في فلسطين وقتلهم، وغزو الهند وانتصار الإسلام فيهما لا بد كائن بإذن الله، فهو قول الصادق المصدوق ﷺ.. غير أن الله سبحانه قضى أن لا ينزل علينا النصر من السماء، فتحمله ملائكته إلينا ونحن قاعدون، بل نعمل ونجد ونجتهد، ونتحرى الصدق والإخلاص فيما نعمل، وهكذا يجب أن نكون، فيأتي نصر الله ولا ريب، بإذنه سبحانه، وإنا لنستبشر خيراً بالأهل في باكستان، فهو بلد إسلامي قوي وجذور الإسلام فيه عميقة ومشاعر الإسلام فيه جياشة، وجيشه يحب الجهاد في سبيل الله، وتطلعات المسلمين فيه لإقامة الخلافة تتصاعد، ولن يطول الوقت بإذن الله قبل أن تتحقق النصرة للرائد الذي لا يكذب أهله، ...، فيتحقق قوله ﷺ بإقامة الخلافة الراشدة بعد هذا الحكم الجبري الذي نعيش فيه؛ أخرج أحمد في مسنده عن حذيفة قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«..ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ. ثُمَّ سَكَتَ»** ويومئذ يفرح المؤمنون **﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.**

في السابع عشر من ذي القعدة 1446هـ

15/5/2025م

المحتويات

غزة...غزة يا اسود الرجال!

غزة...غزة يا صقور السماء!

غزة...غزة ايتها الجيوش!

المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية باكستان

في الأيام القليلة الماضية، ارتكب كيان يهود مجازر مروّعة بحق أهلنا في غزة، حيث قتل مئات الفلسطينيين بقصفه الهمجي، حتى امتلأت الشوارع بجثث الشهداء الممزقة، ورؤوسهم المقطوعة، وأطرافهم المتناثرة. ولم يكتفِ بذلك، بل قطع عن غزة إمدادات الطعام بالكامل منذ الثالث من آذار/مارس الماضي، ما دفع أهلها للمعاناة من مجاعة قسرية خانقة. كتب الناس وصاياهم الأخيرة، ووسموا أسماء أطفالهم على أيديهم، ليتمكنوا من التعرف عليهم بين الجثث المشوهة. واليوم، أطلق الكيان الغاصب عملية "عربات جدعون"، هدفها قتل من تبقى أو تهجيرهم قسرًا من أرضهم.

أيها المسلمون، إنّ جرأة يهود علينا لم تكن لتكون لولا غياب جيوش المسلمين عن أداء واجبها الشرعي: الجهاد في سبيل الله. لقد تم حصر هذه الجيوش خلف حدودٍ قوميةٍ زائفة، ومنعها من نصرة المستضعفين. قال الله تعالى:﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ...**﴾

يا قوات باكستان المسلحة! لقد رأيتم بأعينكم أن العزة لا تأتي إلا بالجهاد ضد الكفار، ورأيتم كيف وقفت الأمة بأكملها، من مشرقها إلى مغربها، خلفكم، مؤازرتكم، لقد كذب عليكم الحكام حين قالوا: "الهند دولة لا نقدر على مواجهتها!"، ولكن ضرباتكم المحدودة، رغم تقييدها، كشفت عن قوتكم الحقيقية، وأجبرت العدو على إعادة حساباته. فماذا لو انطلقتم بكامل قوتكم؟! هذا هو الحال مع أمريكا ويهود، الذين لم يواجهوا يومًا جيشًا

مسلمًا تحت قيادة مخلصة لله ولرسوله، وهم اليوم أعجز من أن يهزموا مجموعة صادقة مسلحة بالعقيدة، فكيف بهم إذا نهضت جيوش الإسلام بحق؟

أيها المسلمون، إنّ وجود أمريكا ويهود في بلادنا مرهون بخيانة حكّامنا، الذين يستقبلون أعداء الله في عقر دار الإسلام، ويتوسّلون إليهم لحلّ أزماتٍ هم صانعوها، بل يتسابقون في سفك دماء المسلمين لكسب رضاهم ونهب ثروات أمتنا.

أيها الجند في باكستان: أتعودون إلى ثكناتكم بعد النصر والعزة التي وهبكم الله، لتُمكّنوا بقاء حكم أمريكا وترامب في أرض الإسلام؟! إنّ هذه الأمة، أمة الجهاد والنضال، أمة نبيّ الملحمة، لا تحيا إلا بالجهاد، وأنتم طليعتها. ألا تهفو قلوبكم إلى تطهير المسجد الأقصى من دنس يهود؟ ألا تشتاقون إلى أداء "صلاة الفتح" فيه؟! غزة تناديكم، فأجيبوها أيها الأسود! افعلوا من أجلها ما لم تفعلوه من قبل،امحوا الحدود المصطنعة، تحرروا من قيود الدولة القومية، وأعطوا نصرتكم لإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

غزة...غزة يا اسود الرجال! غزة...غزة يا صقور السماء! غزة...غزة أيتها الجيوش!قال رسول الله ﷺ: **«لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»** رواه مسلم.

المحتويات

النصرة

النصرة هي الحكم الشرعي الذي يعتمد عليه المستقبل السياسي للأمة الإسلامية. فمن خلال النصرة، سيتم إقامة دولة تنهي سلسلة الخيانات التي عانت منها الأمة، حيث تبدأ بالحكم بما أنزل الله ﷻ، وتوحد الأمة كلها في ظل دولة واحدة، وتنشر رسالة الإسلام في العالم بالدعوة والجهاد.

والدليل الشرعي على النصرة يتجلى في سيرة رسول الله ﷺ. فعندما تجمد المجتمع في مكة أمام رسالة الإسلام، أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بأن يعرض نفسه على القبائل ليطلب نصرتهم. وبعد وفاة عمه أبو طالب، بدأ رسول الله ﷺ في التواصل مع مختلف القبائل العربية. وقد قبل زعماء قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة الإسلام وأعطوه النصرة.

ومن خلال بيعة العقبة الثانية، تم تأسيس أول دولة إسلامية. لذلك، تم تسمية زعماء الأوس والخزرج بالأنصار، ليظلوا مشهورين بهذا اللقب الشريف الى يوم القيامة.

والحاجة الان ملحة لأن يتبع الضباط المخلصون في القوات المسلحة الباكستانية خطى إخوانهم الأنصار، ويقدمون النصرة لإعادة الحكم بما أنزل الله. ويجب عليهم اقتلاع نظام الكفر الرأسمالي الديمقراطي والتعهد بالولاء لخليفة راشد من أجل تطبيق القرآن والسنة، مُحققين بشرى رسول الله ﷺ عندما قال، **"ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ"** ثُمَّ سَكَت (رواه أحمد)